شرح ثلاثة الأصول

لفضيلة الشيخ العلامة
محمد بن صالح العثيمين
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

إعداد
الفقير إلى الله تعالى
فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان

طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

دار الثريا للنشر

تر ة مؤلف كتاب (ثلاثة الأصول)

شيخ الإسلام مد بن عبد الوهاب

ر ه ا تعا

❖ نسبه :

هو شيخ الإسلام مد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن مد بن أ د بن راشد بن بريد بن مد بن مشرف بن عمر من ب يم.

❖ مولده:

ولد هذا العا بلدة العيينة سنة ١١١٥ هجرية بيت علم وشرف ودين، فأبوه عا كب ، وجده سليمان عا د زمانه.

❖ نشأته:

حفظ القرآن قبل بلوغ عشر سن ، ودرس الفقه ح نال حظاً وافراً وكان موضع الإعجاب من والده لقوة حفظه، وكان كث ا طالعة كتب التفاسير وا ديث، وجد طلب العلم ليلاً ونهاراً، فكان فظ ا تون العلمية ش الفنون، ورحل طلب العلم ضواحي د و مكة وقرأ على علمائها، رحل إ ا دينة النبوية فقرأ على علمائها، ومنهم العلامة الشيخ عبد ا بن إبراهيم الشمري، كما قرأ على ابنه الفرضي الشه إبراهيم الشمري مؤلف العذب الفائض شرح ألفية الفرائض وعرفاه با دث الشه مد حياة السندي فقرأ عليه علم ا ديث ورجاله وأجازه بالأمهات.

وكان الشيخ مد بن عبد الوهاب - ر ه ا تعا - قد وهبه ا فهماً ثاقباً وذكاءً مفرطاً وأكب على ا طالعة والبحث، والتأليف وكان يثبت ما ر عليه من الفوائد أثناء القراءة والبحث وكان لا يسأم من الكتابة وقد خط كتباً كثـ ة من مؤلفات ابن تيميه وابن القيم – ر همـا ا – ولا تزال بعض ا خطوطات الثمينة بقلمه السيال موجودة با تاحف.

و ا تو والده - سنة ١١٥٣ هـ - أخذ يعلن جهراً بالدعوة السلفية إ توحيد ا وإنكار ا نكر ويهاجم ا بتدعة أهل الأوثان والأصنام، وقد شد أزره الولاة من آل سعود وقويت شوكته وذاع خ ه.



❖ مؤلفاته:

وله - ر ه ا تعا - مؤلفات نافعة نذكر منها:

١) كتاب التوحيد.
٢) كتاب "كشف الشبهات".
٣) كتاب "الكبائر".
٤) كتاب "ثلاثة الأصول".
٥) كتاب " تصر الإنصاف والشرح الكبـ ".
٦) كتاب " تصر زاد ا عاد".
٧) وله فتاوى ورسائل عت باسم موعة مؤلفات الإمام مد بن عبد الوهاب ت إشراف جامعة الإمام مد بن سعود.



وفاته:

تو ر ه ا تعا عام ١٢٠٦ هـ فر ه ا ر ة واسعة وجزاه عن الإسلام وا سلم خ ا زاء إنه يع يب وا مد رب العا وصلى ا وسلم على نبينا مد وعلى آله وصحبه أ ع .

بقلم الفق إ ا تعا

فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان

تر ة الشارح

فضيلة الشيخ مد بن صا العثيم

حفظه ا تعا

❖ نسبه :

هو أبو عبد ا مد بن صا بن مد بن عثيم الوهي التميمي.

❖ مولده:

ولد مدينة عنيزة السابع والعشرين من شهر رمضان ا بارك عام ١٣٤٧هـ.

❖ نشأته:

- قرأ القرآن الكر على جده من جهة أمه عبد الر ن بن سليمان آل دامغ ر ه ا فحفظه، ا ه إ طلب العلم فتعلم ا ط وا ساب وبعض فنون الآداب، وكان الشيخ عبد الر ن السعدي ر ه ا قد أقام اثن من طلبة العلم عنده ليدرسا الطلبة الصغار أحد ا الشيخ علي الصا ي، والثا الشيخ مد بن عبد العزيز ا طوع ر ه ا ، قرأ عليه تصر العقيدة الواسطية للشيخ عبد الر ن السعدي، ومنهاج السالك الفقه للشيخ عبد الر ن أيضاً، والأجرومية والألفية.
- وقرأ على الشيخ عبد الر ن بن علي بن عودان الفرائض والفقه.
- وقرأ على الشيخ عبد الر ن بن ناصر السعدي الذي يعت شيخه الأول حيث لازمه وقرأ عليه التوحيد والتفس وا ديث والفقه وأصول الفقه والفرائض

ومصطلح ا ديث والنحو والصرف.

وكانت لفضيلة الشيخ م لة عظيمة عند شيخه ر ه ا فعندما انتقل والد الشيخ مد - ر ه ا - إ الرياض إبان أول تطوره رغب أن ينتقل معه ولـ ـ ـده - الشيخ حفظه ا - فكتب له الشيخ عبد الر ن السعدي ر ه ا "إن هذا لا كن، نريد مداً أن كث هنا ح يستفيد".

ويقول فضيلة الشيخ حفظه ا "إن تأثرت به كث اً طريقة التدريس وعرض العلم وتقريبه للطلبة بالأمثلة وا عا ، وكذلك أيضاً تأثرت به من ناحية الأخلاق لأن الشيخ عبد الر ن ر ه ا كان على جانب كب من الأخلاق الفاضلة، وكان ر ه ا على قدر كب العلم والعبادة، وكان ازح الصغ ، ويضحك إ الكب ، وهو من أحسن من رأيت أخلاقاً".

- قرأ على احة الشيخ عبد العزيز بن باز حيث يعت شيخه الثا ، فابتدأ عليه قراءة صحيح البخاري وبعض رسائل شيخ الإسلام ابن تيميه وبعض الكتب الفقهية.

يقول الشيخ "تأثرت بالشيخ عبد العزيز بن باز - حفظه ا - من جهة العناية با ديث، وتأثرت به من جهة الأخلاق أيضاً وبسط نفسه للناس".

- عام ١٣٧١هـ، جلس للتدريس ا امع و ا فتحت ا عاهد العلمية الرياض التحق با عام ١٣٧٢هـ يقول الشيخ حفظه ا :

"دخلت ا عهد العلمي من السنة الثانية، والتحقت به شورة من الشيخ علي الصا ي، وبعد أن استأذنت من الشيخ عبد الر ن السعدي عليه ر ة ا ، وكان ا عهد العلمي ذلك الوقت ينقسم إ قسم خاص وعام، فكنت القسم ا اص، وكان ذلك الوقت أيضاً من شاء أن يقفز كما يع ون ع أنه يدرس السنة ا ستقبلة له أثناء

الإجازة ة ها أول العام الثا ، فإذا ح انتقل إ السنة ا بعدها وبذا اختصرت الزمن" ١هـ.

- وبعد سنت رج وع مدرساً معهد عنيزة العلمي مع مواصلة الدراسة انتساباً كلية الشريعة ومواصلة طلب العلم على يد الشيخ عبد الر ن السعدي.
- و ا تو فضيلة الشيخ عبد الر ن السعدي ر ه ا تو إمامة ا امع الكب بعنيزة والتدريس مكتبة عنيزة الوطنية بالإضافة إ التدريس ا عهد العلمي أنتقل إ التدريس كلي الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام مد بن سعود الإسلامية بالقصيم ح الآن، بالإضافة إ عضوية هيئة كبار العلماء با ملكة العربية السعودية، ولفضيلة الشيخ حفظه ا نشاط كب الدعوة إ ا عز وجل وتبص الدعاة كل مكان وله جهود مشكورة هذا اال.
- وا دير بالذكر أن احة الشيخ مد بن إبراهيم ر ه ا قد عرض بل أ على فضيلة الشيخ تو القضاء، بل أصدر قراره بتعيينه حفظه ا تعا رئيساً للمحكمة الشرعية بالإحساء فطلب منه الإعفاء، وبعد مراجعات واتصال شخصي من فضيلة الشيخ ح ر ه ا تعا بإعفائه من منصب القضاء.

 **مؤلفـاته:**

له - حفظه ا تعا - مؤلفات كث ة تبلغ ٤٠ ما ب كتاب ورسالة وسوف مع إن شاء ا تعا موع الفتاوى والرسائل.



بسم[١] ا [٢] . . . .

(١) ابتدأ ا ؤلف ر ه ا كتابه بالبسملة اقتداء بكتاب ا عز وجل مبدوء بالبسملة، واتباعاً ديث **"كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم ا فهو أبتر"**[(١)] واقتداء بالرسول صلى ا عليه وسلم، فإنه يبدأ كتبه بالبسملة.

ا ار وا رور متعلق حذوف فعل مؤخر مناسب للمقام تقديره بسم ا أكتب أو أصنف.
وقدرناه فعلاً لأن الأصل العمل الأفعال.
وقدرناه مؤخراً لفائدت :
الأو : الت ك بالبداءة باسم ا سبحانه وتعا .
الثانية: إفادة ا صر لأن تقد ا تعلق يفيد ا صر.
وقدرناه مناسباً لأنه أدل على ا راد فلو قلنا مثلاً عندما نريد أن نقرأ كتاباً بسم ا نبتدئ ما يدري اذا نبتدئ؟ لكن بسم ا أقرأ يكون أدل على ا راد الذي أبتدئ به.
(٢) ا : علم على الباري جل وعلا وهو الاسم الذي تتبعه يع الأ اء ح إنه قوله تعا : **الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ** (إبراهيم:١-٢)

---

(١) عزه السيوطي في الجامع الصغير "للرهاوي" ١٤٧/٤، وأخرجه الخطيب في "الجامع" ٦٩/٢. وقد أخرج الحديث بطرق كثيرة وألفاظ متعددة، وقد سئل شيخنا العلامة محمد العثيمين – حفظه الله ورعاه – عن هذا الحديث فقال: "هذا الحديث اختلف العلماء في صحته فمن أهل العلم من صححه واعتمده كالنووي، ومنهم من ضعفه. ولكن تلقي العلماء هذا الحديث بالقبول ووضعهم ذلك الحديث في كتبهم يدل على أن له أصلاً ..." انتهى من كتاب (العلم) لفضيلة شيخنا – يسر الله نشره -.

الر ن[١] الرحيم[٢] اعلم[٣] . . . .

لا نقول إن لفظ ا لالة ا صفة بل نقول هي عطف بيان لئلا يكون لفظ ا لالة تابعاً تبعية النعت للمنعوت.

(١) الر ن: اسم من الأ اء ا ختصة با عز وجل لا يطلق على غ ه والر ن معناه ا تصف بالر ة الواسعة.

(٢) الرحيم: يطلق على ا عز وجل وعلى غ ه، ومعناه ذو الر ة الواصلة، فالر ن ذو الر ة الواسعة، والرحيم ذو الر ة الواصلة فإذا عا صار ا راد بالرحيم ا وصل ر ته إ من يشاء من عباده كما قال ا تعا : يُعَذبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (العنكبوت:٢١)

(٣) العلم هو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً.

ومراتب الإدراك ست:

الأو : العلم وهو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً.

الثانية: ا هل البسيط وهو عدم الإدراك بالكلية.

الثالثة: ا هل ا ركب وهو إدراك الشيء على وجه الف ما هو عليه.

الرابعة: الوهم وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد راجح.

ا امسة: الشك وهو إدراك الشيء مع احتمال مساو.

السادسة: الظن وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد مرجوح.

والعلم ينقسم إ قسم : ضروري ونظري.

ر ك ا [١] أنه ب علينا تعلم أربع مسائل[٢]؛ الأو : العلم وهو: معرفة ا [٣]. .

فالضروري ما يكون إدراك ا علوم فيه ضرورياً يث يضطر إليه من غ نظر ولا استدلال كالعلم بأن النار حارة مثلاً.

والنظري ما تاج إ نظر واستدلال كالعلم بوجوب النية الوضوء.

(١) ر ك ا أفاض عليك من ر ته ال صل با على مطلوبك وتنجو من ذورك، فا ع غفر ا لك ما مضى من ذنوبك، ووفقك وعصمك فيما يستقبل منها هذا إذا أفردت الر ة أما إذا قرنت با غفرة فا غفرة ا مضى من الذنوب، والر ة والتوفيق للخ والسلامة من الذنوب ا ستقبل.

وصنيع ا ؤلف ر ه ا تعا يدل على عنايته وشفقته با خاطب وقصد ا له.

(٢) هذه ا سائل ال ذكرها ا ؤلف ر ه ا تعا تشمل الدين كله فهي جديرة بالعناية لعظم نفعها.

(٣) أي معرفة ا عز وجل بالقلب معرفة تستلزم قبول ما شرعه والإذعان والانقياد له، و كيم شريعته ال جاء با رسوله مد صلى ا عليه وسلم، ويتعرف العبد على ربه بالنظر الآيات الشرعية كتاب ا عز وجل وسنة رسوله صلى ا عليه وسلم.

والنظر الآيات الكونية ال هي ا خلوقات، فإن الإنسان كلما نظر تلك الآيات ازداد علماً القه ومعبوده قال ا عز وجل: وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِ *وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ (الذاريات:٢٠-٢١)

ومعرفة نبيه[(١)] ومعرفة دين الإسلام[(٢)] . . . .

(١) أي معرفة رسوله مد صلى ا عليه وسلم ا عرفة ال تستلزم قبول ما جاء به من ا دى ودين ا ق، وتصديقه فيما أخ ، وامتثال أمره فيما أمر، واجتناب ما نى عنه وزجر، و كيم شريعته والرضا كمه قال ا عز وجل: فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً (النساء:٦٥). وقال تعا : إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (النور:٥١). وقال تعا : فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (النساء:الآية٥٩) وقال عز وجل: فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (النور:الآية٦٣) قال الإمام أ د ر ه ا : "أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك لعله إذا رد بعض قوله أن يقع قلبه شيء من الزيغ فيهلك".

(٢) قوله معرفة دين الإسلام: الإسلام با ع العام هو التعبد ا شرع منذ أن أرسل ا الرسل إ أن تقوم الساعة كما ذكر عز وجل ذلك آيات كث ة تدل على أن الشرائع السابقة كلها إسلام عز وجل: قال ا تعا عن إبراهيم: رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (البقرة:١٢).

والإسلام با ع ا اص بعد بعثة ال صلى ا عليه وسلم تص ا بعث به مد صلى ا عليه وسلم لأن ما بعث به ال صلى ا عليه وسلم نسخ يع الأديان السابقة فصار من أتبعه مسلماً ومن خالفه ليس سلم ، فأتباع الرسل مسلمون زمن رسلهم،

بالأدلة[١]. . . . .

فاليهود مسلمون زمن موسى صلى ا عليه وسلم والنصارى مسلمون زمن عيسى صلى ا عليه وسلم، وأما ح بعث النـ مد صلى ا عليه وسلم فكفروا به فليسوا سلم .

وهذا الدين الإسلامي هو الدين ا قبول عند ا النافع لصاحبه قال ا عز وجل: ﴿إِن الدينَ عِنْدَ اللهِ الإسلام﴾ (آل عمران:الآية١٩) وقال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران:٨٥) وهذا الإسلام هو الإسلام الذي ام به على مد صلى ا عليه وسلم وأمته، قال ا تعا : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِيناً﴾ (ا ائدة:الآية٣).

(١) قوله: بالأدلة ع دليل وهو ما يرشد إ ا طلوب، والأدلة على معرفة ذلك عية، وعقلية، فالسمعية ما ثبت بالوحي وهو الكتاب والسنة، والعقلية ما ثبت بالنظر والتأمل، وقد أكثر ا عز وجل من ذكر هذا النوع كتابه فكم من آية قال ا فيها ومن آياته كذا وكذا وهكذا يكون سياق الأدلة العقلية الدالة على ا تعا .

وأما معرفة النـ صلى ا عليه وسلم بالأدلة السمعية فمثل قوله تعا : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالذِينَ مَعَهُ﴾ (الفتح:الآية٢٩) الآية. وقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرسُل﴾ (آل عمران:الآية١٤٤). بالأدلة العقلية بالنظر والتأمل فيما أتى به من الآيات البينات الـ أعظمها كتاب ا عز وجل ا شتمل على الأخبار الصادقة النافعة والأحكام ا صلحة العادلة، وما جرى على يديه من خوارق العادات، وما أخ به من أمور الغيب الـ لا تصدر إلا عن وحي والـ صدقها ما وقع منها.

الثانية العمل به(١) الثالثة: الدعوة إليه(٢). . . . .

(١) قوله العمل به أي العمل ا تقتضيه هذه ا عرفة من الإ ان با والقيام بطاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه من العبادات ا اصة، والعبادات ا تعدية، فالعبادات ا اصة مثل الصلاة، والصوم، وا ج، والعبادات ا تعدية كالأمر با عروف والنهي عن ا نكر، وا هاد سبيل ا وما أشبه ذلك.

والعمل ا قيقة هو ـرة العلم، فمن عمل بلا علم فقد شابه النصارى، ومن علم و يعمل فقد شابه اليهود.

(٢) أي الدعوة إ ما جاء به الرسول صلى ا عليه وسلم من شريعة ا تعا على مراتبها الثلاث أو الأربع الـ ذكرها ا عز وجل قوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (النحل:الآية١٢٥) والرابعة قوله: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ (العنكبوت:الآية٤٦).

ولا بد ـذه الدعوة من علم بشريعة ا عز وجل حـ تكون الدعوة عن علم وبصـ ة. لقوله تعا : ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف:١٠٨). والبصـ ة تكون فيما يدعو إليه بأن يكون الداعية عا اً با كم الشرعي، و كيفية الدعوة، و حال ا دعو.

و الات الدعوة كثـ ة منها: الدعوة إ ا تعا با طابة، وإلقاء ا اضرات، ومنها الدعوة إ ا با قالات، ومنها الدعوة إ ا لقات العلم، ومنها الدعوة إ ا بالتأليف ونشر الدين عن طريق التأليف،

ومنها الدعوة إ ا ا الس ا اصة فإذا جلس الإنسان لس دعوة مثلاً فهذا ال للدعوة إ ا عز وجل ولكن ينبغي أن تكون على وجه لا ملل فيه ولا إثقال، و صل هذا بأن يعرض الداعية مسألة علمية على ا الس تبتدئ ا ناقشة ومعلوم أن ا ناقشة والسؤال وا واب له دور كب فهم ما أنزل ا على رسوله وتفهيمه، وقد يكون أكثر فعالية من إلقاء خطبة أو اضرة إلقاء مرسلاً كما هو معلوم.

والدعوة إ ا عز وجل هي وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام وطريقة من تبعهم بإحسان، فإذا عرف الإنسان معبوده، ونبيه، ودينه ومن ا عليه بالتوفيق لذلك فإن عليه السعي إنقاذ أخوانه بدعوتم إ ا عز وجل وليبشر با ، قال الن صلى ا عليه وسلم لعلي بن أ طالب رضي ا عنه يوم خي : "انفذ على رسلك ح ت ل بساحتهم، ادعهم إ الإسلام، وأخ هم ا ب عليهم من حق ا تعا فيه، فوا لأن يهدي ا بك رجلاً خ لك من ر النعم"[١] متفق على صحته. ويقول صلى ا عليه وسلم فيما رواه مسلم: "من دعا إ هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إ ضلالة كان عليه من الإ مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً"[٢]، وقال صلى ا عليه وسلم فيما رواه مسلم أيضاً: "من دل على خ فله مثل أجر فاعله"[٣].

[١] رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب: دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلا الإسلام والنبوة ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب: فضل علي بن أبي طالب – رضي الله عنه -.
[٢] مسلم، كتاب العلم، باب: من سن سنة حسنة أو سيئة.
[٣] مسلم، كتب الإمارة، باب: فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره.

الرابعة: الصـ على الأذى فيه[1] . . . .

---

(١) الصـ حبس النفس على طاعة ا ، وحبسها عن معصية ا ، وحبسها عن التسخط من أقدار ا فيحبس النفس عن التسخط والتضجر وا لل، ويكون دائماً نشيطاً الدعوة إ دين ا وإن أوذي، لأن أذية الداء إ ا من طبيعة البشر إلا من هدى ا قال ا تعا : لنبيه صلى ا عليه وسلم: وَلَقَدْ كُذِبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِبُوا وَأُوذُوا حَتى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا (الأنعام:الآية٣٤) وكلما قويت الأذية قرب النصر، وليس النصر تصاً بأن ينصر الإنسان حياته ويرى أثر دعوته قد قق بل النصر يكون ولو بعد موته بأن عل ا قلوب ا لق قبولاً ا دعا إليه وأخذاً به و سكاً به فإن هذا يعت نصراً ذا الداعية وإن كان ميتاً، فعلى الداعية أن يكون صابراً على دعوته مستمراً فيها. صابراً على ما يدعو إليه من دين ا عز وجل صابراً على ما يعترض دعوته. صابراً على ما يعترضه هو من الأذى، وها هم الرسل صلوات ا وسلامه عليهم أوذوا بالقول وبالفعل قال ا تعا : كَذَلِكَ مَا أَتَى الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (الذاريات:٥٢). وقال عز وجل: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً (الفرقان:٣١) ولكن على الداعية أن يقابل ذلك بالصـ وأنظر إ قول ا عز وجل لرسوله صلى ا عليه وسلم: إِنا نَحْنُ نَزلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً (الإنسان:٢٣) كان من ا نتظر أن يقال فاشكر نعمة ربك ولكنه عز وجل قال: فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ (الإنسان:الآية٢٤) و هذا إشارة إن كل من قام بـذا القرآن فلابد أن يناله ما يناله ا تاج إ صـ ، وأنظر إ حال النـ صلى ا عليه وسلم حـ ضربه قومه فأدموه وهو سح الدم عن وجهه ويقول:

والدليل على قوله تعا : و العصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين أمنوا وعملوا الصا ات وتواصوا با ق وتواصوا بالصـ .[١]

"اللهم أغفر لقومي فإنم لا يعلمون"[١] فعلى الداعية أن يكون صابراً تسباً.

والصـ ثلاثة أقسام:

١- صـ على طاعة ا .

٢- صـ عن ارم ا .

٣- صـ على أقدار ا الـ ريها إما ا لا كسب للعباد فيه، وإما ا ريه ا على أيدي بعض العباد من الإيذاء والاعتداء.

(١) قوله والدليل أي على هذه ا راتب الأربع قوله تعا : وَالْعَصْرِ (العصر:١) أقسم ا عز وجل هذه السورة بالعصر الذي هو الدهر وهو ل ا وادث من خ وشر، فأقسم ا عز وجل به على أن الإنسان كل الإنسان خسر إلا من اتصف بذه الصفات الأربع: الإ ان، والعمل الصا ، والتواصي با ق، والتواصي بالصـ .

قال ابن القيم ـر ه ا تعا -: جهاد النفس أربع مراتب:

إحداها: أن اهدها على تعلم ا دى ودين ا ق الذي لا فلاح ا ولا سعادة معاشها ومعادها إلا به.

الثانية: أن اهدها على العمل به بعد علمه.

(١) رواه البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين. ومسلم، كتاب الجهاد، باب: غزوة أحد.

. . . .

الثالثة: أن اهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه.
الرابعة: أن اهدها على الص على مشاق الدعوة إ ا وأذى ا لمق ويتحمل ذلك كله ، فإذا استكمل هذه ا راتب الأربع صار من الربانيi ".
فا عز وجل أقسم هذه السورة بالعصر على أن كل إنسان فهو خيبة وخسر مهما كثر ماله وولده وعظم قدره وشرفه إلا من ع هذه الأوصاف الأربعة:
أحدها: الإ ان ويشمل كل ما يقرب إ ا تعا من اعتقاد صحيح وعلم نافع
الثا : العمل الصا وهو كل قول أو فعل يقرب إ ا بأن يكون فاعله لصاً و مد صلى ا عليه وسلم متبعاً.
الثالث: التواصي با ق وهو التواصي على فعل ا وا ث عليه والترغيب فيه.
الرابع: التواصي بالص بأن يوصي بعضهم بعضاً بالص على فعل أوامر ا تعا ، وترك ارم ا ، و مل أقدار ا .
والتواصي با ق والتواصي بالص يتضمنان الأمر با عروف والنهي عن ا نكر اللذين بما قوام الأمة وصلاحها ونصرها وحصول الشرف والفضيلة ا: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمةٍ أُخْرِجَتْ لِلناسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ (آل عمران:الآية١١٠).

قال الشافعي –ر ه ا تعا (١) _: " لو ما أنزل ا حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم"(٢) وقال البخاري –ر ه ا (٣) -: "باب العلم قبل القول والعمل". والدليل قوله تعا : فَاعْلَمْ أنهُ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ (مد:الآية١٩)، فبدأ بالعلم قبل القول والعمل(٤).

---

(١) الشافعي هو أبو عبد ا مد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ا ا ي القرشي، ولد غزة سنة ١٥٠ هـ وتو صر سنة ٢٠٤ هـ وهو أحد الأئمة الأربعة على ا ميع ر ة ا تعا .

(٢) مراده ر ه ا أن هذه السورة كافية للخلق ث ا على التمسك بدين ا بالإ ان، والعمل الصا ، والدعوة إ ا ، والص على ذلك، وليس مراده أن هذه السورة كافية للخلق يع الشريعة.

وقوله: "لو ما أنزل ا حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم" لأن العاقل البص إذا ع هذه السورة أو قرأها فلا بد أن يسعى إ ليص نفسه من ا سران وذلك باتصافه بذه الصفات الأربع: الإ ان، والعمل الصا ، والتواصي با ق والتواصي بالص .

(٣) البخاري هو أبو عبد ا مد بن إ اعيل بن إبراهيم بن ا غ ة البخاري، ولد ببخارى شوال سنة أربعة وتسع ومائة ونشأ يتيماً حجر والدته، وتو ر ه ا خرتنك بلدة على فرسخ من رقند ليلة عيد الفطر سنة ست و س ومائت .

(٤) أستدل البخاري ر ه ا بذه الآية على وجوب البداءة بالعلم قبل القول

....

والعمل وهذا دليل أثري يدل على أن الإنسان يعلم أولاً يعمل ثانياً، وهناك دليل عقلي نظري يدل على أن العلم قبل القول والعمل وذلك لأن القول أو العمل لا يكون صحيحاً مقبولاً ح يكون على وفق الشريعة، ولا كن أن يعلم الإنسان أن عمله على وفق الشريعة إلا بالعلم، ولكن هناك أشياء يعلمها الإنسان بفطرته كالعلم بأن ا إله واحد فإن هذا قد فطر عليه العبد و ذا لا تاج إ عناء كب التعلم، أما ا سائل ا زئية ا نتشرة فهي ال تاج إ تعلم وتكريس جهود.



اعلم ر ك ا : أنه ب على كل مسلم ومسلمة تعلم ثلاث هذه ا سائل والعمل بن، الأو : أن ا خلقنا[١]. . . . .

---

(١) ودليل ذلك أن ا خلقنا عي وعقلي:
أما السمعي فكث ومنه قوله عز وجل: ﴿هُوَ الذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِ ٍ ثُم قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمّىً عِنْدَهُ ثُم أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ (الأنعام:٢) وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُم صَوَرْنَاكُمْ﴾ (الأعراف:الآية١١) الآية، وقوله تعا : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ﴾ (ا جر:٢٦) وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُم إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ (الروم:٢٠) وقوله: ﴿خَلَقَ الإنسان مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخارِ﴾ (الر ن:١٤)، وقوله: ﴿اللهُ خَالِقُ كُل شَيْءٍ﴾ (الزمر:الآية٦٢) وقوله: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصافات:٩٦) وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِن وَالْأِنسَ إِلا لِيَعْبُدُون﴾ (الذاريات:٥٦) إ غ ذلك من الآيات.
أما الدليل العقلي على أن ا خلقنا فقد جاءت الإشارة إليه قوله تعا : ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (الطور:٣٥) فإن الإنسان لق نفسه لأنه قبل وجوده عدم والعدم ليس بشيء وما ليس بشيء لا يوجد شيئاً، و لقه أبوه ولا أمه ولا أحد من ا لق، و يكن ليأ صدفة بدون موجد؛ لأن كل حادث لا بد له من دث؛ ولأن وجود هذه ا خلوقات على هذا النظام البديع والتناسق ا تآلف نع منعاً باتاً أن يكون صدفة. إذ ا وجود صدفة ليس على نظام أصل وجوده فكيف يكون منتظماً حال بقائه وتطوره، فتع بذا أن يكون ا الق هو ا وحده فلا خالق ولا آمر إلا ا ، قال ا تعا : ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ (الأعراف:الآية٥٤).

ورزقنا [١] . . . .

و يعلم أن أحداً من ا لق أنكر ربوبية ا سبحانه وتعا إلا على وجه ا كابرة كما حصل من فرعون، وعندما ع جب بن مطعم رسول ا صلى ا عليه وسلم يقرأ سورة الطور فبلغ قوله تعا : أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ * أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ (الطور:٣٥- ٣٧) وكان جب بن مطعم يومئذ مشركاً فقال: "كاد قل أن يط وذلك أول ما وقر الإ ان قل "[١].

(١) أدلة هذه ا سألة ك ة من الكتاب والسنة والعقل أما الكتاب: فقال ا تعا : إِن اللهَ هُوَ الرزاقُ ذُو الْقُوةِ الْمَتِ ُ (الذاريات:٥٨) وقال تعا : قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللهُ (سـبأ:الآية٢٤) وقوله: قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمنْ يَمْلِكُ السمْعَ وَالْأَبصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَي مِنَ الْمَيتِ وَيُخْرِجُ الْمَيتَ مِنَ الْحَي وَمَنْ يُدَبرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلا تَتقُونَ (يونس:٣١) والآيات هذا ك ة.

وأما السنة: فمنها قوله صلى ا عليه وسلم ا ن يبعث إليه ملك فيؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله، وعمله وشقي أم سعيد[٢].

وأما الدليل العقلي على أن ا رزقنا فلأننا لا نعيش إلا على طعام وشراب، والطعام والشراب خلقه ا عز وجل كما قال ا تعا : أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكهُونَ * إِنا لَمُغْرَمُونَ* بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ* أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ* لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلا تَشْكُرُونَ (الواقعة:٦٣-٧٠)

---

(١) البخاري، كتاب التفسير، سورة الطور.
(٢) البخاري، كتاب القدر. ومسلم، كتاب القدر.

و يتركنا لاً [١] بل أرسل إلينا رسولاً [٢] . . . .

ففي هذه الآيات بيان أن رزقنا طعاماً وشراباً من عند ا عز وجل.

(١) هذا هو الواقع الذي تدل عليه الأدلة السمعية والعقلية:
أما السمعية فمنها قوله تعا : أَفَحَسِبْتُمْ أنمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَق لا إِلَهَ إِلا هُوَ (ا ؤمنون:١١٥-١١٦) وقوله: أَيَحْسَبُ الإنسان أَنْ يُتْرَكَ سُدىً * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِي يُمْنَى* ثُم كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوى* فَجَعَلَ مِنْهُ الزوْجَيْنِ الذكَرَ وَالْأُنْثَى* أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى (القيامة:٣٦-٤٠)
وأما العقل: فلأن وجود هذه البشرية لتحيا تتمتع كما تتمتع الأنعام وت إ غ بعث ولا حساب أمر لا يليق كمة ا عز وجل بل هو عبث ض، ولا كن أن لق ا هذه ا ليقة ويرسل إليها الرسل ويبيح لنا دماء ا عارض ا خالف للرسل عليهم الصلاة والسلام تكون النتيجة لا شيء، هذا مستحيل على حكمة ا عز وجل.
(٢) أي أن ا عز وجل أرسل إلينا معشر هذه الأمة أمة مد صلى ا عليه وسلم رسولاً يتلو علينا آيات ربنا، ويزكينا، ويعلمنا الكتاب وا كمة، كما أرسل إ من قبلنا، قال ا تبارك وتعا : وَإِنْ مِنْ أُمةٍ إِلا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ (فاطر:الآية٢٤) ولا بد أن يرسل ا الرسل إ لق لتقوم عليهم ا جة وليعبدوا ا ا به ويرضاه قال ا تبارك وتعا : إِنا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنبِيينَ مِنْ بَعْدِهِ

فمن أطاعه دخل ا نة[1] . . . .

وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً *وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً * رُسُلاً مُبَشِرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلناسِ عَلَى اللهِ حُجةٌ بَعْدَ الرسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً (النساء:١٦٣-١٦٥) ولا كن أن نعبد ا ا يرضاه إلا عن طريق الرسل عليهم الصلاة والسلام لأنم هم الذين بينوا لنا ما به ا ويرضاه، وما يقربنا إليه عز وجل فبذلك كان من حكمة ا أن أرسل إ ا لق رسلاً مبشرين ومنذرين الدليل قوله تعا : إِنا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً*فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً (ا زمل:١٥-١٦)

(١) هذا حق مستفاد من قوله تعا : وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرسُولَ لَعَلكُمْ تُرْحَمُونَ*وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبكُمْ وَجَنةٍ عَرْضُهَا السمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدتْ لِلْمُتقِينَ (آل عمران:١٣٢-١٣٣) ومن قوله تعا : وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (النساء:الآية١٣) ومن قوله تعا : وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (النور:٥٢) وقوله: وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النبِيينَ وَالصديقِينَ وَالشهَدَاءِ وَالصالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً (النساء:٦٩) وقوله: وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (الأحزاب:الآية٧١) والآيات ذلك كث ة.

ومن عصاه دخل النار[1] والدليل قوله تعا : ﴿إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً * فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً﴾ (ا زمل:١٥-١٦) الثانية:[2] أن ا لا يرضى أن يشرك معه أحد عبادته لا ملك مقرب، ولا نـ مرسل. والدليل قوله تعا : ﴿وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً﴾ (ا ـن:١٨).

ومن قوله صلى ا عليه وسلم "كل أم يدخلون ا نة إلا من أ " فقيل: ومن يأ يا رسول ا ؟ قال: "من أطاع دخل ا نة ومن عصا دخل النار"[1] رواه البخاري.

(١) هذا أيضاً حق مستفاد من قوله تعا : ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين﴾ (النساء:١٤) وقوله: ﴿ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً﴾ (الأحزاب: الآية٣٦) وقوله: ﴿ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً﴾ (ا ـن:الآية٢٣) ومن قوله صلى ا عليه وسلم ا ديث السابق: "ومن عصا دخل النار".

(٢) أي ا سألة الثانية ا ب علينا علمه أن ا سبحانه وتعا لا يرضى أن يشرك معه عبادته أحد، بل هو وحده ا ستحق للعبادة ودليل ذلك ما ذكره ا ؤلف ر ه ا قوله تعا : ﴿وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً﴾ (ا ـن:١٨) فنهى ا تعا أن يدعو الإنسان مع ا أحداً،

---

[1] رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الإقتداء

الثالثة[١] أن من أطاع الرسول ووحّد ا لا وز له موالاة من حاد ا ورسوله ولو كان أقرب قريب، والدليل قوله تعا :

وا لا ينهى عن شيء إلا وهو لا يرضاه سبحانه وتعا وقال ا عز وجل: ِإنْ َتكْفُرُوا فَإِن اللَه غَنِي عَنْكُمْ وَلا َيرْضَى ِلعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ َتشْكُرُوا َيرْضَهُ لَكُمْ (الزمر:الآية٧)، وقال تعا : فَإِنْ َترْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن اللَهَ لا َيرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِ َ (التوبة:الآية٩٦) فالكفر والشرك لا يرضاه ا سبحانه وتعا بل إ ا أرسل الرسل وأنزل الكتب اربة الكفر والشرك والقضاء عليهما قال ا تعا : وَقَاِتلُوهُمْ حَتى لا َتكُونَ ِفْتَنةٌ وَيَكُونَ الدينُ كُلهُ ِللهِ (الأنفال:الآية٣٩) وإذا كان ا لا يرضى بالكفر والشرك فإن الواجب على ا ؤمن أن لا يرضى بما، لأن ا ؤمن رضاه وغضبه تبع رضا ا وغضبه، فيغض ا يغضب ا ويرضى ا يرضاه ا عز وجل، وكذلك إذا كان ا لا يرضى الكفر ولا الشرك فإنه لا يليق ؤمن أن يرضى بما. والشرك أمره خط قال ا عز وجل: ِإن اللَهَ لا َيغْفِرُ أَنْ ُيشْرَكَ ِبهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَِلكَ ِلمَنْ َيشَاءُ (النساء:الآية٤٨) وقال تعا : ِإنهُ مَنْ ُيشْرِكْ ِباللهِ فَقَدْ حَرمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنةَ وَمَأْوَاهُ النارُ وَمَا ِللظاِلمِ َ مِنْ أَنْصَارٍ (ا ائدة:الآية٧٢) وقال الن صلى ا عليه وسلم: "من لقي ا لا يشرك به شيئاً دخل ا نة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار"[١]

(١) أي ا سألة الثالثة ا ب علينا علمه الولاء وا اء، والولاء وا اء

---

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب: من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا. ومسلم، كتاب الإيمان، باب: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة.

لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادونَ مَنْ حَاد اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِ تَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِ انَ وَأَيدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَناتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِن حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (ا ادلة:٢٢)

أصل عظيم جاءت فيه النصوص الكث ة قال ا عز وجل: يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُوا لا تَتخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً (آل عمران:الآية١١٨) وقال تعا : يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُوا لا تَتخِذُوا الْيَهُودَ وَالنصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلهُمْ مِنْكُمْ فَإِنهُ مِنْهُمْ إِن اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظالِمِ (ا ائدة:٥١) وقال سبحانه وتعا : يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُوا لا تَتخِذُوا الذِينَ اتخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفارَ أَوْلِيَاءَ وَاتقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِ (ا ائدة:٥٧) وقال تعا : يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُوا لا تَتخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِ انِ وَمَنْ يَتَوَلهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظالِمُونَ * قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِ تُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَب إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبصُوا حَتى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِ (التوبة:٢٣-٢٤) وقال عز وجل: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِ اً (الأحزاب:٢١) وقوله تعا : قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ

....

اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبداً حَتى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ إِلا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَن لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ رَبنَا عَلَيْكَ تَوَكلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (ا متحنة:٤) ولأن موالاة من حاد ا ومداراته تدل على أن ما قلب الإنسان من الإ ان با ورسوله ضعيف؛ لأنه ليس من العقل أن ب الإنسان شيئاً هو عدو بوبه، وموالاة الكفار تكون ناصرتم ومعاونتهم على ما هم عليه من الكفر والضلال، وموادتم تكون بفعل الأسباب ال تكون با مودتم فتجده يوادهم أي يطلب ودهم بكل طريق، وهذا لا شك ينا الإ ان كله أو كماله، فالواجب على ا ؤمن معاداة من حاد ا ورسوله ولو كان أقرب قريب إليه، وبغضه والبعد عنه ولكن هذا لا نع نصيحته ودعوته للحق.



اعلم(١) أرشدك ا (٢) لطاعته(٣): أن ا نيفية(٤) ملة(٥) إبراهيم(٦): أن تعبد ا وحده(٧) لصاً له الدين(٨) . . . .

(١) تقدم الكلام على العلم فلا حاجة إ إعادته هنا.

(٢) الرشد: الاستقامة على طريق ا ق.

(٣) الطاعة: موافقة ا راد فعلاً للمأمور وتركاً للمحظور.

(٤) ا نيفية: هي ا لة ا ائلة عن الشرك، ا بينة على الإخلاص عز وجل.

(٥) أي طريقه الدي الذي يس عليه؛ عليه الصلاة والسلام.

(٦) إبراهيم هو خليل الر ن قال عز وجل: وَاتخَذَ اللهُ ِإْبرَاهِيمَ خَلِيلاً (النساء:الآية١٢٥) هو أبو الأنبياء وقد تكرر ذكر منهجه مواضع كث ة للاقتداء به.

(٧) قوله "أن تعبد ا " هذه خ "أن" قول "أن ا نيفية" والعبادة فهومها العام هي "التذلل بة وتعظيماً بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه". أما ا فهوم ا اص للعبادة-يع تفصيلها- فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية ر ه ا : "العبادة أسم جامع لكل ما به ا ويرضاه من الأقوال، والأعمال الظاهرة والباطنة كا وف، وا شية، والتوكل والصلاة والزكاة، والصيام وغ ذلك من شرائع الإسلام.

(٨) الإخلاص هو التنقية وا راد به أن يقصد ا رء بعبادته وجه ا عز وجل والوصول إ دار كرامته يث لا يعبد معه غ ه لا ملكاً مقرباً ولا نبياً

وبذلك (١) أمر ا   يع الناس وخلقهم ا كما قال ا تعا : وَمَا خَلَقْتُ الْجِن وَالْإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُون (الذاريات:٥٦) ومع يعبدون يوحدون[٢] . . . .

مرسلاً قال ا تعا : ثُم أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتبِعْ مِلةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِ (النحل:١٢٣). وقال ا تعا : وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدنْيَا وَإِنهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصالِحِ *إِذْ قَالَ لَهُ رَبهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَب الْعَالَمِ * وَوَصى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِي إِن اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدينَ فَلا تَمُوتُن إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (البقرة:١٣٠-١٣٢)

(١) أي با نيفية وهي عبادة ا لصاً له الدين أمر ا يع الناس وخلقهم ا، كما قال ا تعا : وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُون (الأنبياء:٢٥) وب ا عز وجل كتابه أن ا لق إ ا خلقوا ذا فقال تعا : وَمَا خَلَقْتُ الْجِن وَالْإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُون (الذاريات:٥٦).

(٢) يع التوحيد من مع العبادة وإلا فقد سبق لك مع العبادة وعلى أي شيء تطلق وأنا أعم من رد التوحيد.

واعلم أن العبادة نوعان:

عبادة كونية وهي ا ضوع لأمر ا تعا الكو وهذه شاملة ميع ا لق لا رج عنها أحد لقوله تعا : إِنْ كُل مَنْ فِي السمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلا آتِي الرحْمَنِ عَبْداً (مر :٩٣) فهي شاملة للمؤمن والكافر،

وأعظم ما أمر ا به التوحيد وهو: إفراد ا بالعبادة (١). . . . .

وال والفاجر.

والثا : عبادة شرعية وهي ا ضوع لأمر ا تعا الشرعي وهذه خاصة ن أطاع ا تعا واتبع ما جاءت به الرسل مثل قوله تعا : وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً (الفرقان:٦٣). فالنوع الأول لا مد عليه الإنسان لأنه بغ فعله لكن قد مد على ما صل منه من شكر عند الرخاء وص على البلاء لاف النوع الثا فإنه مد عليه.

(١) التوحيد لغة مصدر وحد يوحد، أي جعل الشيء واحداً وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات، نفي ا كم عما سوى ا وحد وإثباته له فمثلاً نقول: إنه لا يتم للإنسان التوحيد ح يشهد أن لا إله إلا ا فينفي الألوهية عما سوى ا تعا ويثبتها وحده.

و الاصطلاح عرفه ا ؤلف بقوله: "التوحيد هو إفراد ا بالعبادة" أي أن تعبد ا وحده لا تشرك به شيئاً، لا تشرك به نبياً مرسلاً، ولا ملكاً مقرباً ولا رئيساً ولا ملكاً ولا أحداً من ا لق، بل تفرده وحده بالعبادة بة وتعظيماً، ورغبة ورهبة، ومراد الشيخ ر ه ا التوحيد الذي بعثت الرسل لتحقيقه لأنه هو الذي حصل به الإخلال من أقوامهم.

وهناك تعريف أعم للتوحيد وهو: "إفراد ا سبحانه وتعا ا تص به".

وأنواع التوحيد ثلاثة:

الأول: توحيد الربوبية وهو "إفراد ا سبحانه وتعا با لق، وا لك

والتدبـ " قال ا عز وجل: اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ (الزمر:الآية٦٢) وقال تعا : هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السمَاءِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ (فاطر:الآية٣) وقال تعا : تَبَارَكَ الذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُل شَيْءٍ قَدِيرٌ (ا لملك:١). وقال تعا : أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَب الْعَالَمِينَ (الأعراف:الآية٥٤).

الثا : توحيد الألوهية وهو "إفراد ا سبحانه وتعا بالعبادة بأن لا يتخذ الإنسان مع ا أحداً يعبده ويتقرب إليه كما يعبد ا تعا ويتقرب إليه".

الثالث: توحيد الأ اء والصفات وهو "إفراد ا سبحانه وتعا ا ى به نفسه ووصف به نفسه كتابه، أو على لسان رسوله صلى ا عليه وسلم وذلك بإثبات ما أثبته، ونفي ما نفاه من غ ريف، ولا تعطيل، ومن غ تكييف، ولا ثيل".

ومراد ا ؤلف هنا توحيد الألوهية وهو الذي ضل فيه ا شركون الذين قاتلهم النـ صلى ا عليه وسلم واستباح دماءهم وأموا م وأرضهم وديارهم وسـ نساءهم وذريتهم، وأكثر ما يعا الرسل أقوامهم على هذا النوع من التوحيد. قال تعا : وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُل أُمةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ (النحل:الآية٣٦). فالعبادة لا تصح إلا عز وجل، ومن أخل بذا التوحيد فهو مشرك كافر وإن أقر بتوحيد الربوبية والأ اء والصفات، فلو فرض أن رجلاً يقرّ إقراراً كاملاً بتوحيد الربوبية والأ اء والصفات ولكنه يذهب إ القـ فيعبد صاحبه أو ينذر له قرباناً يتقرب به إليه فإنه

وأعظم ما نى عنه الشرك. وهو: دعوة غ ه معه والدليل قوله تعا : وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً (النساء:الآية٣٦).

مشرك كافر خالد النار قال ا تعا : إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (ا ائدة:الآية٧٢) وإ ا كان التوحيد أعظم ما أمر ا لأنه الأصل الذي ينبن عليه الدين كله، و ذا بدأ به الن صلى ا عليه وسلم الدعوة إ ا ، وأمر من أرسله للدعوة أن يبدأ به.

(١) أعظم ما نى ا عنه الشرك وذلك لأن أعظم ا قوق هو حق ا عز وجل فإذا فرط فيه الإنسان فقد فرط أعظم ا قوق وهو توحيد ا عز وجل قال ا تعا : إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (لقمان:الآية١٣) وقال تعا : وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً (النساء:الآية٤٨) وقال عز وجل: وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً (النساء:الآية١١٦) وقال تعا : إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (ا ائدة:الآية٧٢) وقال تعا : إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ (النساء:الآية٤٨) وقال الن صلى ا عليه وسلم: "أعظم الذنب أن عل ندا وهو خلقك"[١]. وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم عن جابر، رضي ا عنه: "من لقي ا لا يشرك به شيئاً دخل ا نة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار"[٢].

---

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب: قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) ومسلم، كتاب الإيمان، باب: كون الشرك أقبح الذنوب.

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة.

فإذا قبل لك: ما الأصول[1] الثلاثة الـ ب على الإنسان. . . .

وقال الن صلى ا عليه وسلم "من مات وهو يدعوا من دون ا نداً دخل النار"[1] رواه البخاري واستدل ا ؤلف ر ه ا تعا لأمر ا تعا بالعبادة ونيه عن الشرك بقوله عز وجل: وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً (النساء:الآية٣٦) فأمر ا سبحانه وتعا بعبادته ونى عن الشرك به، وهذا يتضمن إثبات العبادة له وحده فمن يعبد ا فهو كافر مستك ، ومن عبد ا وعبد معه غ ه فهو كافر مشرك، ومن عبد ا وحده فهو مسلم لص. والشرك نوعان: شرك أك ، وشرك أصغر.

فالنوع الأول: الشرك الأك وهو كل شرك أطلقه الشارع وكان متضمناً روج الإنسان عن دينه.

النوع الثا : الشرك الأصغر وهو كل عمل قو أو فعلي أطلق عليه الشرع وصف الشرك ولكنه لا رج عن ا لة.

وعلى الإنسان ا ذر من الشرك أك ه وأصغره فقد قال تعا : إِن اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ (النساء:الآية٤٨)

(١) الأصول ع أصل، وهو ما يب عليه غ ه، ومن ذلك أصل ا دار وهو أساسه، وأصل الشجرة الذي يتفرع منه الأغصان، قال ا تعا : أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيبَةً كَشَجَرَةٍ طَيبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السمَاءِ (إبراهيم:٢٤).

---

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، سورة البقرة، باب: قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً)

معرفتها[١]؟ فقل: معرفة العبد ربه[٢] . . . .

وهذه الأصول الثلاثة يش با ا صنف ر ه إ الأصول ا يسأل عنها الإنسان ق ه: ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

(٢) أورد ا ؤلف ر ه ا تعا هذه ا سألة بصيغة السؤال وذلك من أجل أن ينتبه الإنسان ا؛ لأنا مسألة عظيمة وأصول كب ة؛ وإ ا قال: إن هذه هي الأصول الثلاثة ا ب على الإنسان معرفتها لأنا هي الأصول ا يسأل عنها ا رء ق ه إذا دفن وتو عنه أصحابه أتاه ملكان فأقعداه فسألاه من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فأما ا ؤمن فيقول: ر ا ، ودي الإسلام، ونبيي مد، وأما ا رتاب أو ا نافق فيقول هاه؛ هاه لا أدري، عت الناس يقولون شيئاً فقلته.

(٢) معرفة ا تكون بأسباب:

منها النظر والتفكر لوقاته عز وجل فإن ذلك يؤدي إ معرفته ومعرفة عظيم سلطانه و ام قدرته، وحكمته، ور ته قال ا تعا : أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ (الأعراف:الآية١٨٥) وقال عز وجل: قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا (سـبأ:الآية٤٦) وقال تعا : إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (آل عمران:١٩٠) وقال عز وجل: وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ (يونس:الآية٦) وقال سبحانه وتعا : إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (البقرة:١٦٤)

ودينه[1] ....

ومن أسباب معرفة العبد ربه النظر آياته الشرعية وهي الوحي الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام فينظر هذه الآيات وما فيها من ا صا العظيمة ا لا تقوم حياة ا لق الدنيا ولا الآخرة إلا با، فإذا نظر فيها وتأملها وما اشتملت عليه من العلم وا كمة ووجد انتظامها وموافقتها صا العباد عرف بذلك ربه عز وجل كما قال ا عز وجل: أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِ أً (النساء:٨٢).

ومنها ما يلقي ا عز وجل قلب ا ؤمن من معرفة ا سبحانه وتعا ح كأنه يرى ربه رأي الع قال الن عليه الصلاة والسلام، ح سأله ج يل ما الإحسان؟ قال: "أن تعبد ا كأنك تراه، فإن تكن تراه فإنه يراك".[1]

(١) أي معرفة الأصل الثا وهو دينه الذي كلف العمل به وما تضمنه من ا كمة والر ة ومصا ا لق، ودرء ا فاسد عنها، ودين الإسلام من تأمله حق التأمل تأملاً مبيناً على الكتاب والسنة عرف أنه دين ا ق، وأنه الدين الذي لا تقوم مصا ا لق إلا به، ولا ينبغي أن نقيس الإسلام ا عليه ا سلمون اليوم، فإن ا سلم قد فرطوا أشياء كث ة وارتكبوا

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان أركان الإيمان والإسلام.

ونبيه مدأ صلى ا عليه وسلم[١]

فإذا قيل لك: ربك[٢]؟ فقل: ر ا الذي ربا ور يع العا بنعمه[٣]، . . . .

اذير عظيمة ح كأن العائش بينهم بعض البلاد الإسلامية يعيش جو غ إسلامي.

والدين الإسلامي – مد ا تعا - متضمن ميع ا صا ال تضمنتها الأديان السابقة متميز عليها بكونه صا اً لكل زمان ومكان وأمة، ومع كونه صا اً لكل زمان ومكان وأمة : أن التمسك به لا ينا مصا الأمة أي زمان ومكان وأمة، فدين الإسلام يأمر بكل عمل صا وينهى عن كل عمل سيء فهو يأمر بكل خلق فاضل ، وينهى عن كل خلق سافل.

(١) هذا هو الأصل الثالث وهو معرفة الإنسان نبيه مدأ صلى ا عليه وسلم، و صل بدراسة حياة الن صلى ا عليه وسلم وما كان عليه من العبادة، والأخلاق، والدعوة إ ا عز وجل، وا هاد سبيله وغ ذلك من جوانب حياته عليه الصلاة والسلام، و ذا ينبغي لكل إنسان يريد أن يزداد معرفة بنبيه وإ اناً به أن يطالع من س ته ما تيسر حربه وسلمه، وشدته ورخائه و يع أحواله نسأل ا عز وجل أن علنا من ا تبع لرسوله صلى ا عليه وسلم، باطناً وظاهراً، وأن يتوفانا على ذلك إنه وليه والقادر عليه.

(٢) أي من هو ربك الذي خلقك، وأمدك، وأعدك، ورزقك.

(٣) التربية هي عبارة عن الرعاية ال يكون با تقو ا ر ، ويشعر

وهو معبودي ليس معبود سواه[١] والدليل قوله تعا : الْحَمْدُ لِلهِ رَب الْعَالَمِ (الفا ة:٢)[٢] وكل ما سوى ا عا

كلام ا ؤلف ر ه ا أن الرب مأخوذ من التربية لأنه قال: "الذي ربا ور يع العا بنعمه" فكل العا قد رباهم ا بنعمه وأعدهم ا خلقوا له، وأمدهم برزقه قال ا تبارك وتعا اورة موسى وفرعون: قَالَ فَمَنْ رَبكُمَا يَا مُوسَى* قَالَ رَبنَا الذِي أَعْطَى كُل شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُم هَدَى (طـه:٤٩-٥٠) فكل أحد من العا قد رباه ا عز وجل بنعمه.

ونعم ا عز وجل على عباده كثـ ة لا كن حصرها قال ا تبارك وتعا : وَإِنْ تَعُدوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا (النحل:الآية١٨) فا هو الذي خلقك وأعدك، وأمدك ورزقك فهو وحده ا ستحق للعبادة.

(١) أي وهو الذي أعبده وأتذلل له خضوعاً و بة وتعظيماً، أفعل ما يأمر به، وأترك ما ينها عنه، فليس أحد أعبده سوى ا عز وجل، قال ا تبارك وتعا : وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُون (الأنبياء:٢٥) وقال تعا : وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِ لَهُ الدينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصلاةَ وَيُؤْتُوا الزكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيمَةِ (البينة:٥)

(٢) استدل ا ؤلف ر ه ا لكون ا سبحانه وتعا مربياً ميع ا لق بقوله تعا : الْحَمْدُ لِلهِ رَب الْعَالَمِ (الفا ة:٢) يع الوصف بالكمال وا لال والعظمة تعا وحده.

رَب الْعَالَمِ أي مربيهم بالنعم وخالقهم ومالكهم، وا دبر م كما شاء عز وجل.

وأنا واحد من ذلك العا [1]، فإذا قيل لك عرفت ربك[2]؟ فقل بآياته و لموقاته[3] ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر، ومن لموقاته السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما[4].

---

(١) العا كله من سوى ا ، و و عا اً لأنم علم على خالقهم ومالكهم ومدبرهم ففي كل شيء آية تدل على أنه واحد.

وأنا اليب بذا واحد من ذلك العا ، وإذا كان ر وجب علي أن أعبده وحده.

(٢) أي إذا قيل لك: بأي شيء عرفت ا عز وجل؟

فقل: عرفته بآياته و لموقاته.

(٣) الآيات: ع آية وهي العلامة على الشيء ال تدل عليه وتبينه.

وآيات ا تعا نوعان: كونية وشرعية، فالكونية هي ا خلوقات، والشرعية هي الوحي الذي أنزله ا على رسله، وعلى هذا يكون قول ا ؤلف ر ه ا "بآياته و لموقاته" من باب عطف ا اص على العام إذا فسرنا الآيات بأنا الآيات الكونية والشرعية. أو من باب عطف ا باين ا غاير إذا خصصنا الآيات بالآيات الشرعية وعلى كل فا عز وجل يعرف بآياته الكونية وهي ا خلوقات العظيمة وما فيها من عجائب الصنعة وبالغ ا كمة، وكذلك يعرف بآياته الشرعية وما فيها من العدل، والاشتمال على ا صا ، ودفع ا فاسد.

وفـي كـل شـيء لـه آيـة تـدل على أنـه واحـد

(٤) كل هذه من آيات ا الدالة على كمال القدرة، وكمال ا كمة، وكمال

. . . .

الر ة، فالشمس آية من آيات ا عز وجل لكونها تسـ سـ اً منتظماً بديعاً منذ خلقها ا عز وجل وإ أن يأذن ا تعا راب العا ، فهي تسـ ستقر ا كما قال تعا : وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (يـس:٣٨) وهي من آيات ا تعا جمها وآثارها، أما حجمها فعظيم كبـ ، وأما آثارها فما صل منها من ا نافع للأجسام والأشجار والأنهار، والبحار وغ ذلك، فإذا نظرنا إ الشمس هذه الآية العظيمة ما مدى البعد الذي بيننا وبينها مع ذلك فإننا د حرارتنا هذه ا رارة العظيمة، انظر ماذا دث فيها من الإضاءة العظيمة ا صل بها توفـ أموال كثـ ة على الناس فإن الناس النهار يستغنون عن كل إضاءة و صل بها مصلحة كبـ ة للناس من توفـ أموا م ويعد هذا من الآيات ا لا ندرك إلا اليسـ منها.

كذلك القمر من آيات ا عز وجل حيث قدره منازل لكل ليلة م لة وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (يـس:٣٩) فهو يبدو صغـ اً يكـ رويداً رويداً ح يكمل يعود إ النقص، وهو يشبه الإنسان حيث أنه لق من ضعف لا يزال يترقى من قوة إ قوة ح يعود إ الضعف مرة أخرى فتبارك ا أحسن ا الق .

* * * *

والدليل[١] قوله تعا : وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (فصلت:٣٧) وقوله[٢] تعا : إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (الأعراف:٥٤).

---

(١) أي والدليل على أن الليل والنهار، والشمس والقمر من آيات ا عز وجل قوله تعا : **وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ** . . . . إ أي من العلامات البينة ا بينة دلو ا الليل والنهار ذاتما واختلافهما، وما أودع ا فيهما من مصا العباد وتقلبات أحوا م، وكذلك الشمس والقمر ذاتما وسـ ا وانتظامهما وما صل بذلك من مصا العباد ودفع مضارهم.

نى ا تعا العباد أن يسجدوا للشمس أو القمر وإن بلغا مبلغاً عظيماً نفوسهم لأنما لا يستحقان العبادة لكونا لموق ، وإ ا ا ستحق للعبادة هو ا تعا الذي خلقهن.

(٢) وقوله أي من الأدلة على أن ا خلق السموات والأرض إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ (الأعراف:الآية٥٤) وفيها من آيات ا :

أولاً: أن ا خلق هذه ا خلوقات العظيمة ستة أيام ولو شاء لقها

. . . .

بلحظة ولكنه ربط ا سببات بأسبابا كما تقتضيه حكمته .

ثانياً: أنه استوى على العرش أي علا عليه علواً خاصاً به كما يليق لاله وعظمته وهذا عنوان كمال ا لملك والسلطان.

ثالثاً: أنه يغشي الليل النهار أن عل الليل غشاء للنهار، أي غطاء له فهو كالثوب يسدل على ضوء النهار فيغطيه.

رابعاً: أنه جعل الشمس والقمر والنجوم مذللات بأمره جل سلطانه يأمرهن ا يشاء صلحة العباد .

خامساً: عموم ملكه و ام سلطانه حيث كان له ا لمق والأمر لا غ ه.

سادساً: عموم ربوبيته للعا كلهم.

❁ ❁ ❁ ❁

والرب هو ا عبود[١]،والدليل[٢] قوله تعا : يَا أَيهَا الناسُ[٣] اعْبُدُوا رَبكُمُ الذِي خَلقَكُمْ[٤] وَالذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلكُمْ تَتقُونَ[٥] الذي

(١) يش ا ؤلف ر ه ا تعا إ قول ا عز وجل: إِن رَبكُمُ اللهُ الذِي خَلَقَ السمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتةِ أَيامٍ ثُم اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي الليْلَ النهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنجُومَ مُسَخرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَب الْعَالَمِ (الأعراف:٥٤) فالرب هو ا عبود أي هو الذي يستحق أن يعبد أو هو الذي يعبد لاستحقاقه للعبادة، وليس ا ع أن كل من عبد فهو رب فالآ ة ا تعبد من دون ا وأ ذها عبادها أرباباً من دون ا ليست أرباباً، والرب هو ا الق ا الك ا دبر ميع الأمور.

(٢) أي الدليل على أن الرب هو ا ستحق للعبادة.

(٣) النداء موجه ميع الناس من ب آدم أمرهم ا عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له فلا علوا له أنداداً، ويب أنه إ ا استحق العبادة لكونه هو ا الق وحده لا شريك له.

(٤) قوله **الذِي خَلَقَكُمْ** هذه صفة كاشفة تعلل ما سبق أي اعبدوه لأنه ربكم الذي خلقكم فمن أجل كونه الرب ا الق كان لزاماً عليكم أن تعبدوه، و ذا نقول يلزم كل من أقر بربوبية ا أن يعبده وحده وإلا كان متناقضاً.

(٥) أي من أجل أن صلوا على التقوى، والتقوى هي ا اذ وقاية من عذاب ا عز وجل بإتباع أوامره واجتناب نواهيه.

جَعَلَ لَكُمُ الْأَرضَ فِرَاشاً وَالسمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلهِ أَندَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (البقرة:٢١، ٢٢)

(١) أي جعلها فراشاً ومهاداً نستمتع فيها من غ مشقة ولا تعب كما ينام الإنسان على فراشه.

(٢) أي فوقنا لأن البناء يص فوق السماء بناء لأهل الأرض وهي سقف فوظ كما قال ا تعا : وَجَعَلْنَا السمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (الأنبياء:٣٢)

(٣) أي أنزل من العلو من السحاب ماء طهوراً كما قال تعا : لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (النحل:الآية١٠).

(٤) أي عطاء لكم و آية أخرى: مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (النازعـات:٣٣)

(٥) أي لا علوا ذا الذي خلقكم، وخلق الذين من قبلكم، وجعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء، وأنزل لكم من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم لا علوا له أنداداً تعبدونا كما تعبدون ا ، أو بونا كما بون ا فإن ذلك غ لائق بكم لا عقلاً ولا شرعاً.

(٦) أي تعلمون أنه لا ند له وأنه بيده ا لق والرزق والتدب فلا علوا له شريكاً العبادة.

قال ابن كث – ر ه ا تعا [١]_: "ا الق ذه الأشياء هو ا ستحق للعبادة".

وأنواع العبادة ال أمر ا با[٢]: مثل الإسلام، والإ ان،

(١) هو عماد الدين أبو الفداء إ اعيل بن عمر القرشي الدمشقي ا افظ ا شهور صاحب التفس والتاريخ من تلاميذ شيخ الإسلام بن تيمية تو سنة أربع وسبع وسبعمائة.

(٢) ا ب ا ؤلف ر ه ا تعا أن الواجب علينا أن نعبد ا وحده لا شريك له، ب فيما يأ شيئاً من أنواع العبادة فقال: وأنواع العبادة مثل الإسلام، والإ ان، والإحسان.

وهذه الثلاثة الإسلام، والإ ان، والإحسان هي الدين كما جاء ذلك فيما رواه مسلم من حديث عمر بن ا طاب-رضي ا عنه- قال: "بينما ن عند رسول ا صلى ا عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد ح جلس إ الن صلى ا عليه وسلم فأسند ركبتيه إ ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، قال: يا مد أخ عن الإسلام؟ فقال؟ رسول ا صلى ا عليه وسلم الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا اله وأن مداً رسول ا ، وتقيم الصلاة وتؤ الزكاة، وتصوم رمضان، و ج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخ عن الإ ان؟ قال أن تؤمن با ، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خ ه وشره. قال: صدقت. قال: فأخ عن الإحسان؟ قال: أن تعبد ا كأنك تراه

والإحسان؛ ومنه الدعاء، وا وف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، وا شوع، وا شية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغ ذلك من أنواع العبادة ال أمر ا با كلها تعا [1]. والدليل قوله تعا : وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً (ا ـ ن:١٨)، فمن صرف منها شيئاً لغ ا فهو مشرك كافر، والدليل قوله تعا : وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (ا ؤمنون:١١٧)

فإن تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخ عن الساعة؟ قال: ما ا سؤول عنها بأعلم من السائل. قال فأخ عن إماراتا؟ قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى ا فاة العراة العالة رعاء الشاه يتطاولون البنيان، أنطلق فلبثت ملياً قال يا عمر: أتدري من السائل؟ قلت ا ورسوله أعلم. قال: فإنه ج يل أتاكم يعلمكم دينكم"[1] فجعل الن صلى ا عليه وسلم هذه الأشياء هي الدين وذلك أنا متضمنة للدين كله.

(١) أي كل أنواع العبادة ا ذكر وغ ه وحده لا شريك له فلا ل صرفها لغ ا تعا .

(٢) ذكر ا ؤلف ر ه ا تعا لة من أنواع العبادة وذكر أن من صرف منها شيئاً لغ ا فهو مشرك كافر واستدل بقوله تعا : وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ

---

[1] تقدم تخريجه صـ ٤٠، وانظر شرح الحديث في "مجموع الفتاوى والرسائل" لفضيلة شيخنا ـ حفظه الله ورعاه ـ المجلد الثالث، صـ ١٤٥.

و ا ديث: "الدعاء مخ العبادة". والدليل قوله تعا : وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ [1] (غافر:٦٠)

فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً وبقوله: وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (ا ؤمنون:١١٧) ووجه الدلالة من الآية الأو أن ا تعا أخ أن ا ساجد وهي مواضع السجود أو أعضاء السجود ورتب على ذلك قوله: فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً أي لا تعبدوا معه غ ه فتسجدوا له، ووجه الدلالة من الآية الثانية بأن ا سبحانه وتعا ب أن من يدعو مع ا إ ا آخر فإنه كافر لأنه قال: إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ و قوله: لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ إشارة إ أنه لا كن أن يكون برهان على تعدد الآ ة فهذه الصفة لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ صفة كاشفة مبينة للأمر وليست صفة مقيدة رج ما فيه برهان لأنه لا كن أن يكون برهان على أن مع ا إ ا آخر.

(١) هذا شروع من ا ؤلف ر ه ا تعا أدلة أنواع العبادة ا ذكرها قوله: "وأنواع العبادة ا أمر ا ا مثل الإسلام والإ ان والإحسان ومنه الدعاء . . " إ ، فبدأ ر ه ا بذكر الأدلة على الدعاء وسيأ إن شاء ا تفصيل أدلة الإسلام والإ ان والإحسان. واستدل ا ؤلف ر ه ا ا يروى عن الن صلى ا عليه وسلم، أنه قال: "الدعاء مخ العبادة"[1] واستدل كذلك بقوله تعا : وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (غافر:٦٠) فدلت الآية

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب: فضل الدعاء. وقال: حديث غريب من هذا الوجه.

ودليل ا وف قوله تعا : فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِ (١) (آل عمران:الآية١٧٥)............................

الكر ة على أن الدعاء من العبادة ولولا ذلك ما صح أن يقال: إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ فمن دعا غ ا عز وجل بشيء لا يقدر عليه إلا ا فهو مشرك كافر سواء كان ا دعو حياً أو ميتاً. ومن دعا حياً ا يقدر عليه مثل أن يقول يا فلان أطعم ، يا فلان اسق فلا شيء فيه، ومن دعا ميتاً أو غائباً ثل هذا فإنه مشرك لأن ا يت أو الغائب لا كن أن يقوم ثل هذا فدعاؤه إياه يدل على أنه يعتقد أن له تصرفاً الكون فيكون بذلك مشركاً.

واعلم أن الدعاء نوعان: دعاء مسألة ودعاء عبادة.

فدعاء ا سألة هو دعاء الطلب أي طلب ا اجات وهو عبادة إذا كان من العبد لربه، لأنه يتضمن الافتقار إ ا تعا واللجوء إليه، واعتقاد أنه قادر كر واسع الفضل والر ة. و وز إذا صدر من العبد ثله من ا خلوق إذا كان ا دعو يعقل الدعاء ويقدر على الإجابة كما سبق قوله القائل يا فلان أطعم .

وأما دعاء العبادة فأن يتعبد به للمدعو طلباً لثوابه وخوفاً من عقابه وهذا لا يصح لغ ا وصرفه لغ ا شرك أك رج عن ا لة وعليه يقع الوعيد قوله تعا : إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (غافر:الآية٦٠).

(١) ا وف هو الذعر وهو انفعال صل بتوقع ما فيه هلاك أو ضرر أو أذى، وقد نى ا سبحانه وتعا عن خوف أولياء الشيطان وأمر وفه وحده.

ودليل الرجاء قوله تعا : فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً [1] (الكهف:الآية١١٠). . . . . . .

وا وف ثلاثة أنواع :

النوع الأو : خوف طبيعي كخوف الإنسان من السبع والنار والغرق وهذا لا يلام عليه العبد قال ا تعا عن موسى عليه الصلاة والسلام: فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ (القصص:الآية١٨) لكن إذا كان هذا ا وف كما ذكر الشيخ ر ه ا سبباً لترك واجب أو فعل رم كان حراماً؛ لأن ما كان سبباً لترك واجب أو فعل رم فهو حرام ودليله قوله تعا : فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِ (آل عمران:الآية١٧٥) .

وا وف من ا تعا يكون موداً، ويكون غ مود.

فا مود ما كانت غايته أن ول بينك وب معصية ا يث ملك على فعل الواجبات وترك ا رمات، فإذا حصلت هذه الغاية سكن القلب واطمأن وغلب عليه الفرح بنعمة ا ، والرجاء لثوابه.

وغ ا مود ما مل العبد على اليأس من روح ا والقنوط وحينئذ يتحسر العبد وينكمش ور ا يتمادى ا عصية لقوة يأسه.

النوع الثا : خوف العبادة أن اف أحداً يتعبد با وف له فهذا لا يكون إلا تعا . وصرفه لغ ا تعا شرك أك .

النوع الثالث: خوف السر كأن اف صاحب الق ، أو ولياً بعيداً عنه لا يؤثر فيه لكنه افه افة سر فهذا أيضاً ذكره العلماء من الشرك.

(١) الرجاء طمع الإنسان أمر قريب ا نال، وقد يكون بعيد ا نال

ودليل التوكل قوله تعا : وَعَلى اللهِ فَتَوَكلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِ َ (ا ائدة:الآية٢٣)، وقال: وَمَنْ يَتَوَكلْ عَلى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ (١) (الطلاق:الآية٣) . . . .

ت يلاً له م لة القريب.

والرجاء ا تضمن للذل وا ضوع لا يكون إلا عز وجل وصرفه لغ ا تعا شرك إما أصغر، وإما أك سب ما يقوم بقلب الراجي. وقد استدل ا ؤلف بقوله تعا : فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِهِ أَحَداً (الكهف:الآية١١٠). واعلم أن الرجاء ا مود لا يكون إلا ن عمل بطاعة ا ورجا ثوابا، أو تاب من معصيته ورجا قبول توبته، فأما الرجاء بلا عمل فهو غرور و ن مذموم.

(١) التوكل على الشيء الاعتماد عليه. والتوكل على ا تعا : الاعتماد على ا تعا كفاية وحسباً جلب ا نافع ودفع ا ضار وهو من ام الإ ان وعلاماته لقوله تعا : وَعَلَى اللهِ فَتَوَكلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِ َ (ا ائدة:الآية٢٣) وإذا صدق العبد اعتماده على ا تعا كفاه ا تعا ما أ ه لقوله تعا : وَمَنْ يَتَوَكلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ (الطلاق:الآية٣) أي كافيه طمأن ا توكل بقوله: إِن اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ (الطلاق:الآية٣). فلا يعجزه شيء أراده. وأعلم أن التوكل أنواع:

الأول: التوكل على ا تعا وهو من ام الإ ان وعلامات صدقه

ودليل الرغبة[١] والرهبة[٢] وا شوع[٣] قوله تعا : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا

وهو واجب لا يتم الإ ان إلا به وسبق دليله.

الثا : توكل السر بأن يعتمد على ميت جلب منفعة، أو دفع مضرة فهذا شرك أك ؛ لأنه لا يقع إلا ن يعتقد أن ذا ا يت تصرفاً سرياً الكون، ولا فر ق ب أن يكون نبياً، أو ولياً، أو طاغوتاً عدوا تعا .

الثالث: التوكل على الغ فيما يتصرف فيه الغ مع الشعور بعلو مرتبته وا طاط مرتبة ا توكل عنه مثل أن يعتمد عليه حصول ا عاش و وه فهذا نوع من الشرك الأصغر لقوة تعلق القلب به والاعتماد عليه. أما لو اعتمد عليه على أنه سبب وأن ا تعا هو الذي قدر ذلك على يده فإن ذلك لا بأس به، إذا كان للمتوكل عليه أثر صحيح حصوله .

الرابع : التوكل على الغ فيما يتصرف فيه ا توكل يث ينيب غ ه أمر وز فيه النيابة فهذا لا بأس به بدلالة الكتاب، والسنة، والإ اع فقد قال يعقوب لبنيه ﴿يَبَنِي اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ (يوسف:الآية٨٧) ووكل الن صلى ا عليه وسلم، على الصدقة عمالاً وحفاظاً، ووكل إثبات ا دود وإقامتها، ووكل علي بن أ طالب رضي ا عنه هديه حجة الوداع أن يتصدق لودها وجلا ا، وأن ينحر ما بقي من ا ئة بعد أن ر صلى ا عليه وسلم بيده ثلاثاً وست . وأما الإ اع على جواز ذلك فمعلوم من حيث ا ملة.

(١) الرغبة: بة الوصول إ الشيء ا بوب.

(٢) والرهبة: ا وف ا ثمر للهرب من ا خوف فهي خوف مقرون بعمل.

(٣) ا شوع: الذل والتطامن لعظمة ا يث يستسلم لقضائه الكو والشرعي.

يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِ َ (الأنبياء: الآية٩٠)(١)

ودليل ا شية قوله تعا : فَلا َتخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي (البقرة: الآية١٥٠)(٢)

---

(١) هذه الآية الكر ة وصف ا تعا ا لص من عباده بأنم يدعون ا تعا رغباً ورهباً مع ا شوع له، والدعاء هنا شامل لدعاء العبادة ودعاء ا سألة، فهم يدعون ا رغبة فيما عنده وطمعاً ثوابه مع خوفهم من عقابه وآثار ذنوبم، وا ؤمن ينبغي أن يسعى إ ا تعا ب ا وف والرجاء، ويغلب الرجاء جانب الطاعة لينشط عليها ويؤمل قبو ا، ويغلب ا وف إذا هم با عصية ليهرب منها وينجو من عقابا.

وقال بعض العلماء: يغلب جانب الرجاء حال ا رض وجانب ا وف حال الصحة؛ لأن ا ريض منكسر ضعيف النفس وعسى أن يكون قد اقترب أجله فيموت وهو سن الظن با عز وجل، و حال الصحة يكون نشيطاً مؤملاً طول البقاء فيحمله ذلك على الأشر والبطر فيغلب جانب ا وف ليسلم من ذلك.

وقيل يكون رجاؤه وخوفه واحداً سواء لئلا مله الرجاء على الأمن من مكر ا ، وا وف على اليأس من ر ة ا تعا وكلا ا قبيح مهلك لصاحبه.

(٢) ا شية هي ا وف ا ب على العلم بعظمة من شاه وكمال سلطانه لقوله تعا : إِنمَا َيخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ (فاطر:الآية٢٨) أي العلماء بعظمته وكمال سلطانه فهي أخص من ا وف، ويتضح الفرق بينهما با ثال فإذا خفت من شخص لا تدري هل هو قادر عليك أم

ودليل الإنابة قوله تعا : وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ [1] (الزمر:الآية٥٤).

لا فهذا خوف، وإذا خفت من شخص تعلم أنه قادر عليك فهذه خشية. ويقال أقسام أحكام ا شية ما يقال أقسام أحكام ا وف.

(١) الإنابة الرجوع إ ا تعا بالقيام بطاعته واجتناب معصيته وهي قريبة من مع التوبة إلا أنا أرق منها ا تشعر به من الاعتماد على ا واللجوء إليه ولا تكون إلا تعا ودليلها قوله تعا : وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ (الزمر:الآية٥٤).

وا راد بقوله تعا : وَأَسْلِمُوا لَهُ الإسلام الشرعي وهو الاستسلام لأحكام ا الشرعية وذلك أن الإسلام تعا نوعان:

الأول: إسلام كو وهو الاستسلام كمه الكو وهذا عام لكل من السموات والأرض من مؤمن وكافر، وبر وفاجر لا كن لأحد أن يستك عنه ودليله قوله تعا : وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (آل عمران:الآية٨٣).

الثا : إسلام شرعي وهو الاستسلام كمه الشرعي وهذا خاص ن قام بطاعته من الرسل وأتباعهم بإحسان، ودليله القرآن كث ومنه هذه الآية ال ذكرها ا ؤلف ر ه ا .

* * * *

ودليل الاستعانة قوله تعا : ﴿إِياكَ نَعْبُدُ وَإِياكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفا ة:٥) و ا ديث[١] "إذا استعنت فاستعن با ".

---

(١) الاستعانة طلب العون وهي أنواع:

الأول: الاستعانة با وهي: الاستعانة ا تضمنة لكمال الذل من العبد لربه، وتفويض الأمر إليه، واعتقاد كفايته وهذه لا تكون إلا تعا ودليلها قوله تعا : ﴿إِياكَ نَعْبُدُ وَإِياكَ نَسْتَعِينُ﴾ ووجه الاختصاص أن ا تعا قدم ا عمول "إياك" وقاعدة اللغة ا نزل با القرآن أن تقد ما حقه التأخ يفيد ا صر والاختصاص، وعلى هذا يكون صرف هذا النوع لغ ا تعا شركاً رجاً عن ا لة.

الثا : الاستعانة با خلوق على أمر يقدر عليه فهذه على حسب ا ستعان عليه فإن كانت على بر فهي جائزة للمستع مشروعة للمع لقوله تعا : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (ا ائدة:الآية٢). وإن كانت على إ فهي حرام على ا ستع وا ع لقوله تعا : ﴿وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (ا ائدة:الآية٢)

وإن كانت على مباح فهي جائزة للمستع وا ع لكن ا ع قد يثاب على ذلك ثواب الإحسان إ الغ ومن تكون حقه مشروعة لقوله تعا : ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة:الآية١٩٥).

الثالث: الاستعانة خلوق حي حاضر غ قادر فهذه لغو لا طائل تها مثل أن يستع بشخص ضعيف على ل شيء ثقيل.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٢٩٣/١، والترمذي ٥٧٥/٤.

ودليل الاستعاذة قوله تعا : قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (الفلق:١)، و قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الناس [(١)] (الناس:١).

الرابع: الاستعانة بالأموات مطلقاً أو بالأحياء على أمر غائب لا يقدرون على مباشرته فهذا شرك لأنه لا يقع إلا من شخص يعتقد أن ؤلاء تصرفاً خفيا الكون.

ا امس: الاستعانة بالأعمال والأحوال ا بوبة إ ا تعا وهذه مشروعة بأمر ا تعا قوله: اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ (البقرة:الآية١٥٣).

وقد استدل ا ؤلف ر ه ا تعا للنوع الأول بقوله تعا : إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (الفا ة:٥) وقوله صلى ا عليه وسلم: "إذا استعنت فاستعن با ".

(١) الاستعاذة: طلب الإعاذة، والإعاذة ا ماية من مكروه فا ستعيذ تم ن استعاذ به ومعتصم به والاستعاذة أنواع:

الأول: الاستعاذة با تعا وهي ا تضمنة لكمال الافتقار إليه والاعتصام به واعتقاد كفايته و ام ايته من كل شيء حاضر أو مستقبل، صغ أو كب ، بشر أو غ بشر ودليلها قوله تعا : قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ* مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (الفلق:٢) إ آخر السورة وقوله تعا : قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ*مَلِكِ النَّاسِ* إِلَهِ النَّاسِ*مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (الناس:١-٤) إ آخر السورة.

. . . .

الثا : الاستعاذة بصفة من صفاته ككلامه وعظمته وعزته و و ذلك ودليل ذلك قوله صلى ا عليه وسلم: "أعوذ بكلمات ا التامات من شر ما خلق"[(١)] وقوله: "أعوذ بعظمتك أن أغتال من "[(٢)] وقوله: دعاء الأ "أعوذ بعزة ا وقدرته من شر ما أجد وأحاذر"[(٣)]، وقوله: "أعوذ برضاك من سخطك"[(٤)]، وقوله صلى ا عليه وسلم ح نزل قوله تعا : قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ (الأنعام:الآية٦٥) فقال: "أعوذ بوجهك"[(٥)]

الثالث: الاستعاذة بالأموات أو الأحياء غ ا اضرين القادرين على العوذ فهذا شرك ومنه قوله تعا : وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْأِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً (ا ـ ن:٦) .

الرابع: الاستعاذة ا كن العوذ به من ا خلوق من البشر أو الأماكن أو غ ها فهذا جائز ودليله قوله صلى ا عليه وسلم ذكر الف : "من تشرف ا تستشرفه ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذبه"[(٦)] متفق عليه وقد ب صلى ا عليه وسلم هذا ا لجأ وا عاذ بقوله: "فمن كان له إبل فليلحق بإبله" ا ديث رواه مسلم، و صحيحه أيضاً عن جابر رضي ا عنه أن امرأة من ب زوم سرقت فأ

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب: في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره.
(٢) أخرجه الإمام أحمد ٢/٢٥، والنسائي ٨/٦٧٧.
(٣) أخرجه الإمام أحمد ٤/٢١٧، وأبو داود (٣٨٩١)، وابن ماجه (٢٥٢٢).
(٤) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود.
(٥) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام، باب: قوله تعالى: "أو يلبسكم شيعاً".
(٦) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب: تكون الفتنة القاعد فيها خير من القائم. ومسلم، كتاب الفتن، باب: نزول الفتن كمواقع القطر.

ودليل الاستغاثة قوله تعا : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾[١] (الأنفال:الآية٩).

با الن صلى ا عليه وسلم فعاذت بأم سلمة[١] ا ديث، و صحيحه أيضاً عن أم سلمة رضي ا عنها عن الن صلى ا عليه وسلم قال: "يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث"[٢] ا ديث.

ولكن إن استعاذ من شر ظا وجب إيواؤه وإعاذته بقدر الإمكان، وإن استعاذ ليتوصل إ فعل ظور أو ا رب من واجب حرم إيواؤه.

(١) الاستغاثة طلب الغوث وهو الإنقاذ من الشدة وا لاك، وهو أقسام:

الأول: الاستغاثة با عز وجل وهذا من أفضل الأعمال وأكملها وهو دأب الرسل وأتباعهم، ودليله ما ذكره الشيخ ر ه ا : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (الأنفال:٩)
وكان ذلك غزوة بدر ح نظر الن صلى ا عليه وسلم إ ا شرك ألف رجل وأصحابه ثلا ائة وبضعة عشر رجلاً فدخل العريش يناشد ربه عز وجل رافعاً يديه مستقبل القبلة يقول: "اللهم أ ز ما وعدتـ ، اللهم إن تـلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد الأرض"[٣] وما زال يستغيث بربه رافعاً يديه ح سقط رداؤه عن منكبيه فأخذ أبو بكر رضي ا عنه رداءه فألقاه على منكبيه التزمه من ورائه، وقال: يا ن ا كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل ا هذه الآية.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الحدود، باب: قطع السارق الشريف وغيره.
(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفتن، باب: الخسف بالجيش الذي يؤم البيت.
(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر.

ودليل الذبح قوله تعا : قُلْ إِن صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَب الْعَالَمِ * لا شَرِيكَ لَهُ [١] (الأنعام:الآية١٦٢-١٦٣) ومن السنة: "لعن ا من ذبح لغ ا ".[١]

الثا : الاستغاثة بالأموات أو بالأحياء غ ا اضرين القادرين على الإغاثة فهذا شرك؛ لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن ؤلاء تصرفاً خفياً الكون فيجعل م حظاً من الربوبية قال ا تعا : أَمنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرِ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَرُونَ (النمل:٦٢)

الثالث: الاستغاثة بالأحياء العا القادرين على الإغاثة فهذا جائز كالاستعانة بم قال ا تعا قصة موسى: فَاسْتَغَاثَهُ الذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الذِي مِنْ عَدُوهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ (القصص:الآية١٥).

الرابع: الاستغاثة ي غ قادر من غ أن يعتقد أن له قوة خفية مثل أن يستغيث الغريق برجل مشلول فهذا لغو وسخرية ن استغاث به فيمنع منه ذه العلة، ولعلة أخرى وهي الغريق ر ا اغتر بذلك غ ه فتوهم أن ذا ا شلول قوة خفية ينقذ با من الشدة.

(١) الذبح إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه صوص ويقع على وجوه:

الأول: أن يقع عبادة بأن يقصد به تعظيم ا ذبوح له والتذلل له والتقرب إليه فهذا لا يكون إلا تعا على الوجه الذي شرعه ا تعا ، وصرفه لغ ا شرك أك ودليله ما ذكره الشيخ ر ه ا وهو قوله تعا : قُلْ إِن صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَب الْعَالَمِ *لا شَرِيكَ لَهُ .

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الأضاحي، باب: تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله.

ودليل النذر[١] قوله تعا : ﴿يُوفُونَ بِالنذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِ اً﴾[٢] (الإنسان:٧) . . . .

الثا : أن يقع إكراماً لضيف أو وليمة لعرس أو و ذلك فهذا مأمور به إما وجوباً أو استحباباً لقوله صلى ا عليه وسلم: "من كان يؤمن با واليوم الآخر فليكرم ضيفه"[١] وقوله صلى ا عليه وسلم لعبد الر ن بن عوف "أو ولو بشاة"[٢]

الثالث: أن يقع على وجه التمتع بالأكل أو الا ار به و و ذلك فهذا من قسم ا باح فالأصل فيه الإباحة لقوله تعا : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أنا خَلَقْنَا لَهُمْ مِما عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ* وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ (يّـس:٧١-٧٢) وقد يكون مطلوباً أو منهياً عنه حسبما يكون وسيلة له.

(١) أي دليل كون النذر من العبادة قوله تعا : ﴿يُوفُونَ بِالنذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِ اً﴾.

(٢) وجه الدلالة من الآية أن ا أث عليهم لإيفائهم النذر وهذا يدل على أن ا ب ذلك، وكل بوب من الأعمال فهو عبادة.

ويؤيد ذلك قوله: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِ اً﴾.

واعلم أن النذر الذي امتدح ا تعا هؤلاء القائم به هو يع العبادات ال فرضها ا عز وجل فإن العبادات الواجبة إذا شرع فيها

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره. ومسلم، كتاب اللقطة، باب: الضيافة ونحوها.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب: ما جاء في قوله تعالى: "فإذا قضت الصلاة". مسلم، كتاب النكاح، باب: الصداق وجواز كونه تعليم القرآن وخاتم حديث.

الأصل الثا (١): معرفة دين الإسلام بالأدلة وهو: الاستسلام(٢) بالتوحيد(٣) . . . .

الإنسان فقد التزم با ودليل ذلك قوله تعا : ثُم لْيقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيطوفُوا بِالْبيتِ الْعتِيقِ (ا ج:٢٩).

والنذر الذي هو إلزام الإنسان نفسه بشيء ما، أو طاعة غ واجبة؛ مكروه، وقال بعض العلماء إنه رم لأن الن صلى ا عليه وسلم، نى عن النذر وقال: "إنه لا يأ وإ ا يستخرج به من البخيل"(١) ومع ذلك فإذا نذر الإنسان طاعة وجب عليه فعلها لقول الن صلى ا عليه وسلم: "من نذر أن يطيع ا فليطعه"(٢).

وا لاصة أن النذر يطلق على العبادات ا فروضة عموماً، ويطلق على النذر ا اص وهو إلزام الإنسان نفسه بشيء عز وجل وقد قسم العلماء النذر ا اص إ أقسام و ل بسطها كتب الفقه.

(١) أي من الأصول الثلاثة: معرفة دين الإسلام بالأدلة يع أن يعرف دين الإسلام بأدلته من الكتاب والسنة.

(٢) دين الإسلام وإن شئت فقل الإسلام هو "الاستسلام بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، وال اءة من الشرك وأهله" فهو متضمن لأمور ثلاثة.

(٣) أي بأن يستسلم العبد لربه استسلاما شرعياً وذلك بتوحيد ا عز وجل وإفراده بالعبادة، وهذا الإسلام هو الذي مد عليه العبد ويثاب

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب القدر، باب: إلقاء العبد النذر إلى القدر. ومسلم، كتاب النذر، باب: النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئاً.
(٢) رواه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب: النذر فيما لا يملك وفي معصية.

والانقياد له بالطاعة(١)، وال اءة من الشرك وأهله(٢)؛ وهو ثلاث مراتب(٣): الإسلام، والإ ان والإحسان، وكل مرتبة ا أركان(٤) فأركان الإسلام سة(٥): شهادة أن لا إله إلا ا وأن مد رسول

عليه، أما الاستسلام القدري فلا ثواب فيه لأنه لا حيلة للإنسان فيه قال ا تعا : وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (آل عمران:٨٣).

(١) وذلك بفعل أوامره واجتناب نواهيه؛ لأن الطاعة طاعة الأمر بفعله وطاعة النهي بتركه.

(٢) ال اءة من الشرك أي أن يتر أ منه، ويتخلى منه وهذا يستلزم ال اءة من أهله قال ا تعا : قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِ (ا متحنة:٤)

(٣) ب ا ؤلف ر ه ا تعا أن الدين الإسلامي ثلاث مراتب بعضها فوق بعض وهي الإسلام، والإ ان، والإحسان.

(٤) دليل ذلك قوله صلى ا عليه وسلم ا ديث الذي رواه أ ه ا ؤمن عمر بن ا طاب رضي ا عنه ح جاء ج يل يسأل الن صلى ا عليه وسلم عن الإسلام والإحسان وب له صلى ا عليه وسلم ذلك وقال: "هذا ج يل أتاكم يعلمكم دينكم"(١)

(٥) دليل ذلك حديث ابن عمر رضي ا عنهما قال: قال الن صلى ا عليه وسلم: "ب الإسلام على س شهادة أن لا إله إلا ا وأن مداً رسول ا ، وإقام

---

(١) تقدم تخريجه.

ا (١)، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وحج بيت ا ا رام.

فدليل الشهادة قوله تعا : شَهِدَ اللهُ أنهُ لا إلَهَ إلا هُوَ وَالمَلائِكَةُ وَأولُو العِلْمِ قَائِماً بِالقِسْطِ لا إلَهَ إلا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ (آل عمران:١٨)

الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت ا ا رام"(١).

(١) شهادة أن لا إله إلا ا وأن مداً رسول ا ركن واحد وإ ا كانتا ركنا واحداً مع أنما من شق لأن العبادات تنب علي قيقهما معاً، فلا تقبل العبادة إلا بالإخلاص عز وجل وهو ما تتضمنه شهادة أن لا إله إلا ا وإتباع الرسول صلى ا عليه وسلم وهو ما تتضمنه شهادة أن مداً رسول ا .

(٢) الآية الكر ة شهادة ا لنفسه بأنه لا إله إلا هو، وشهادة ا لائكة وشهادة أهل العلم بذلك وأنه تعا قائم بالقسط أي العدل قرر ذلك بقوله: لا إلَهَ إلا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ و هذه الآية منقبة عظيمة لأهل العلم حيث أخ أنم شهداء معه ومع ا لائكة وا راد بم أولو العلم بشريعته ويدخل فيهم دخولاً أولياً رسله الكرام.

وهذه الشهادة أعظم شهادة لعظم الشاهد وا شهود به، فالشاهد هو ا وملائكته، وأولو العلم، وا شهود به توحيد ا ألوهيته وتقرير ذلك لا إلَهَ إلا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ .

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب: قول النبي عليه الصلاة والسلام: "بني الإسلام على خمس ...". ومسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام.

ومعناها: لا معبود ث إلا ا ؛ "لا إله" نافياً يع ما يعبد من دون ا "إلا ا " مثبتاً العبادة وحده لا شريك له عبادته، كما أنه لا شريك له ملكه(١) . . . .

(١) قوله ومعناها أي مع لا إله إلا ا ألا معبود ق إلا ا فشهادة أن لا إله إلا ا أن يعترف الإنسان بلسانه وقلبه بأنه لا معبود حق إلا ا عز وجل لأنه "إله" ع مألوه، والتأله التعبد، و لة " لا إله إلا ا " مشتملة على نفي وإثبات، أما النفي فهو " لا إله" وأما الإثبات فهو "إلا ا " و"ا " لفظ ا لالة بدل من خ "لا" ا ذوف والتقدير "لا إله حق إلا ا " وبتقديرنا ا بذه الكلمة "حق" يتب ا واب عن الإشكال التا : وهو كيف يقال "لا إله إلا ا " مع أن هناك آ ة تعبد من دون ا وقد اها ا تعا آ ة و اها عابدوها آ ة قال ا تبارك وتعا : فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ (هود:الآية١٠١) وكيف كن أن نثبت الألوهية لغ ا عز وجل والرسل يقولون لأقوامهم اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ (الأعراف:الآية٥٩) وا واب على هذا الإشكال يتب بتقدير ا "لا إله إلا ا " فنقول: هذه الآ ة ال تعبد من دون ا هي آ ة لكنها آ ة باطلة ليست آ ة حقة وليس ا من حق الألوهية شيء، ويدل لذلك قوله تعا : ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (ا ج:٦٢) ويدل لذلك أيضاً قوله تعا : أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى * أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى * تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى * إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ

وتفس ها الذي يوضحها قوله تعا : وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ(١) لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ(٢) مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي(٣) فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ(٤) وَجَعَلَهَا(٥) . . . .

سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (النجم:١٩-٢٣) وقوله تعا عن يوسف عليه الصلاة والسلام: مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ (يوسف:الآية٤٠) إذن فمع "لا إله إلا ا " لا معبود حق إلا ا عز وجل، فأما ا عبودات سواه فإن ألوهيتها ال يزعمها عابدوها ليست حقيقة أي ألوهية باطلة.

(١) إبراهيم هو خليل ا إمام ا نفاء، وأفضل الرسل بعد مد صلى ا عليه وسلم وأبوه آزر .

(٢) (براء) صفة مشبهة بال اءة وهي أبلغ من بريء. وقوله: إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ يوا قول "لا إله".

(٣) خلق ابتداء على الفطرة وقوله: إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي يوا قوله "إلا ا " فهو سبحانه وتعا لا شريك له عبادته كما أنه لا شريك له ملكه ودليل ذلك قوله تعا : أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (الأعراف:الآية٥٤) ففي هذه الآية حصر ا لق والأمر رب العا وحده فله ا لق وله الأمر الكو والشرعي.

(٤) سَيَهْدِينِ سيدا على ا ق ويوفقه له.

(٥) وَجَعَلَهَا أي هذه الكلمة وهي ال اءة من كل معبود سوى ا .

كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ[١] لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ[٢] ، وقوله: **قُلْ[٣] يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ[٤] سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ[٥] فَإِنْ تَوَلَّوْا[٦] فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ[٧]** (آل عمران: ٦٤).

---

(١) **فِي عَقِبِهِ** ذريته.

(٢) **لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** أي إليها من الشرك.

(٣) ا طاب للن صلى ا عليه وسلم ناظرة أهل الكتاب اليهود والنصارى.

(٤) **تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ** هذه الكلمة هي ألا نعبد إلا ا ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضانا بعضاً أرباباً من دون ا فلا نعبد إلا ا هي مع "لا إله إلا ا "، ومع **سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ** أننا ن وإياكم سواء فيها.

(٥) أي لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون ا عز وجل يث يعظم كما يعظم ا عز وجل، ويعبد كما يعبد ا ، و عل ا كم لغ ه.

(٦) **فَإِنْ تَوَلَّوْا** أعرضوا عما دعو وهم إليه.

(٧) أي فأعلنوا م وأشهدوهم أنكم مسلمون ، بريئون ا هم عليه من العناد والتو عن هذه الكلمة العظيمة "لا إله إلا ا ".



ودليل شهادة أن مداً رسول ا قوله تعا : لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ(١) عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ(٢) حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ(٣) بِالْمُؤْمِنِ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ (٤) (التوبة:١٢٨).

---

(١) قوله مِنْ أَنفُسِكُمْ أي من جنسكم بل هو من بينكم أيضاً كما قال تعا : هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمي رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِ (ا معة:٢).

(٢) أي يشق عليه ما شق عليكم.

(٣) أي على منفعتكم ودفع الضر عنكم.

(٤) أي ذو رأفة ور ة با ؤمن ، وخص ا ؤمن بذلك لأنه صلى ا عليه وسلم مأمور هاد الكفار وا نافقة والغلظة عليهم، وهذه الأوصاف لرسول ا صلى ا عليه وسلم تدل على أنه رسول ا حقاً كما دل على ذلك قوله تعا : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ (الفتح:الآية٢٩) وقوله تعا : قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً (الأعراف:الآية١٥٨) والآيات هذا ا ع كث ة جداً تدل على أن مداً رسول ا حقاً.

   

ومع شهادة أن مداً رسول ا : طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخ ، واجتناب ما عنه نى وزجر، وأن لا يعبد ا إلا ا شرع[(١)].

---

(١) مع شهادة "أن مداً رسول ا " هو الإقرار باللسان والإ ان بالقلب بأن مد بن عبد ا القرشي ا ا ي رسول ا – عز وجل – إ يع ا لق من ا ن والإنس كما قال ا تعا : وَمَا خَلَقْتُ الْجِن وَالْإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُون (الذاريات:٥٦) ولا عبادة تعا إلا عن طريق الوحي الذي جاء به مد صلى ا عليه وسلم كما قال تعا : تَبارَكَ الذِي نَزلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِ نَذِيراً (الفرقان:١) ومقتضى هذه الشهادة أن تصدق رسول ا صلى ا عليه وسلم فيما أخ ، وأن تثل أمره فيما أمر، وأن تنب ما عنه نى وزجر، وأن لا تعبد ا إلا ا شرع، ومقتضى هذه الشهادة أيضاً أن لا تعتقد أن لرسول ا صلى ا عليه وسلم، حقاً الربوبية وتصريف الكون، أو حقاً العبادة، بل هو صلى ا عليه وسلم عبد لا يعبد ورسول لا يكذب، ولا لك لنفسه ولا لغ ه شيئاً من النفع أو الضر إلا ما شاء ا كما قال ا تعا : قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِني مَلَكٌ إِنْ أَتبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَي (الأنعام:الآية٥٠) فهو عبد مأمور يتبع ما أمر به، وقال ا تعا : قُلْ إِني لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَراً وَلا رَشَداً * قُلْ إِني لَنْ يُجِ نِي مِنَ اللهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً (ا ـ ن:٢١-٢٢) وقال سبحانه: قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَراً إِلا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسنِيَ السوءُ إِنْ أَنَا إِلا نَذِيرٌ وَبَشِ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (الأعراف:١٨٨).

وبذا تعلم أنه لا يستحق العبادة لا رسول ا صلى ا عليه وسلم ولا من دونه من

ودليل الصلاة، والزكاة[1]، وتفسـ التوحيد قوله تعا : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِ َ لَهُ الدينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصلاةَ وَيُؤْتُوا الزكَوةَ[2] وَذَلِكَ[3] دِينُ الْقَيِّمَةِ[4]﴾ (سورة البينة، الآية: ٥)

ا خلوق ، وأن العبادة ليست إلا تعا وحده. ﴿قُلْ إِن صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَب الْعَالَمِ َ* لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَولُ الْمُسْلِمِ َ﴾ (الأنعام:١٦٢-١٦٣). وأن حقه صلى ا عليه وسلم، أن ت له ا لة ال أنزله ا تعا إياها وهو أنه عبد ا ورسوله، صلوات ا وسلامه عليه.

(١) أي أن الصلاة والزكاة من الدين قوله تعا : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِ َ لَهُ الدينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصلاةَ وَيُؤْتُوا الزكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيمَةِ﴾ (البينة:٥) وهذه الآية عامة شاملة ميع أنواع العبادة فلا بد أن يكون الإنسان فيها لصاً عز وجل حنيفاً متبعاً لشريعته.

(٢) هذا من باب عطف ا اص على العام، لأن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة من العبادة ولكنه سبحانه وتعا نص عليهما ا ما من الأ ية فالصلاة عبادة البدن، والزكاة عبادة ا ال و ا قرينتان كتاب ا عز وجل.

(٣) أي عبادة ا لصـ له الدين حنفاء، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة.

(٤) أي دين ا لة القيمة ال لا اعوجاج فيها لأنا دين ا عز وجل ودين ا مستقيم كما قال ا تعا : ﴿وَأَن هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتبِعُوهُ وَلا تَتبِعُوا السبُلَ فَتَفَرقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصاكُمْ بِهِ لَعَلكُمْ تَتقُونَ﴾ (الأنعام:١٥٣).

وهذه الآية الكر ة كما تضمنت ذكر العبادة والصلاة فقد تضمنت حقيقة التوحيد وأنه الإخلاص عز وجل من غ ميل إ الشرك، فمن

ودليل الصيام[١] قوله تعا : َيأيهَا الذِينَ ءَامَنوا كُتِبَ عَليْكُمُ الصيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلى الذِينَ مِنْ قبْلِكُمْ لعَلكُمْ َتتقُونَ [٢] (سورة البقرة الآية:١٨٣)، ودليل ا ج[٢] قوله تعا : وَللهِ عَلى الناس حِج

لص يكن موحداً، ومن جعل عبادته لغ ا يكن موحداً.

(١) أي دليل وجوبه قوله تعا : َيأيهَا الذِينَ ءَامَنوا كُتِبَ عَليْكُمُ الصيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلى الذِينَ مِنْ قبْلِكُمْ لعَلكُمْ َتتقُونَ (البقرة:١٨٣) و قوله كَمَا كُتِبَ عَلى الذِينَ مِنْ قبْلِكُمْ فوائد:

أولاً: أ ية الصيام حيث فرضه ا عز وجل على الأمم من قبلنا وهذا يدل على بة ا عز وجل له وأنه لازم لكل أمة.

ثانياً: التخفيف على هذه الأمة حيث إنا تكلف وحدها بالصيام الذي قد يكون فيه مشقة على النفوس والأبدان.

ثالثاً: الإشارة إ أن ا تعا أكمل ذه الأمة دينها حيث أكمل ا الفضائل ال سبقت لغ ها.

(٢) ب ا عز وجل هذه الآية حكمة الصيام بقوله لعَلكُمْ َتتقُونَ أي تتقون ا بصيامكم وما يترتب عليه من خصال التقوى وقد أشار الن صلى ا عليه وسلم إ هذه الفائدة بقوله: "من يدع قول الزور والعمل به فليس حاجة أن يدع طعامه وشرابه"[١]

(٣) أي دليل وجوبه قوله تعا : وَللهِ عَلى الناسِ حِج الْبيْتِ إ .

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب: من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم.

مَن اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌ عَنِ الْعَالَمِينَ (آل عمران: من الآية٩٧)

وهذه الآية نزلت السنة التاسعة من ا جرة وبا كانت فريضة ا ج ولكن ا عز وجل قال: **مَن اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** ففيه دليل على أن من يستطع فلا حج عليه.

(١) قوله تعا : وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌ عَنِ الْعَالَمِينَ (آل عمران:الآية٩٧) دليل على أن ترك ا ج ن استطاع إليه سبيلاً يكون كفراً ولكنه كفر لا رج من ا لة على قول هور العلماء لقول عبد ا بن شقيق: "كان أصحاب رسول ا صلى ا عليه وسلم لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غ الصلاة"[1]

* * * *

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الإيمان، باب: ما جاء فيمن ترك الصلاة.

ا رتبة الثانية[١]: الإ ان[٢]، وهو بضع[٣] وسبعون شعبة[٤]، فأعلاها قول لا إله إلا ا وأدناها إماطة الأذى[٥] عن الطريق، وا ياء[٦] شعبة من الإ ان، . . . .

---

(١) أي مراتب الدين .

(٢) الإ ان اللغة التصديق.

و الشرع "اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل با وارح وهو بضع وسبعون شعبة".

(٣) البضع: بكسر الباء من الثلاثة إ التسعة.

(٤) الشعبة: ا زء من الشيء.

(٥) أي إزالة الأذى وهو ما يؤذي ا ارة من أحجار وأشواك، ونفايات وقمامة وماله رائحة كريهة و و ذلك.

(٦) ا ياء صفة إنفعالية دث عند ا جل و جز ا رء عن فعل ما الف ا روءة.

وا مع ب ما تضمنه كلام ا ؤلف ر ه ا تعا من أن الإ ان بضع وسبعون شعبة وأن الإ ان أركانه ستة أن نقول: الإ ان الذي هو العقيدة أصوله ستة وهي ا ذكورة حديث ج يل عليه الصلاة والسلام حينما سأل الن صلى ا عليه وسلم عن الإ ان فقال: "الإ ان أن تؤمن با ، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خ ه وشره"[١]

---

(١) تقدم تخريجه.

وأركانه ستة: أن تؤمن با [١] . . . .

وأما الإ ان الذي يشمل الأعمال وأنواعها وأجناسها فهو بضع وسبعون شعبة و ذا ى ا تعا الصلاة إ اناً قوله: وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِ انَكُمْ (البقرة:الآية١٤٣) قال ا فسرون يع صلاتكم إ بيت ا قدس لأن الصحابة كانوا قبل أن يؤمروا بالتوجه إ الكعبة يصلون إ بيت ا قدس.

(١) الإ ان با يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإ ان بوجود ا تعا :

وقد دل على وجوده تعا : الفطرة، والعقل، والشرع، وا س.

١- أما دلالة الفطرة على وجوده: فإن كل لوق قد فطر على الإ ان القه من غ سبق تفكر أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها لقول الن صلى ا عليه وسلم: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو جسانه"[١].

٢- وأما دلالة العقل على وجود ا تعا : فلأن هذه ا خلوقات سابقها ولاحقها لابد لا من خالق أوجدها إذ لا كن أن توجد نفسها بنفسها، ولا كن أن توجد صدفة.

لا كن أن توجد نفسها بنفسها لأن الشيء لا لق نفسه، لأن قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقاً؟

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه. ومسلم، كتاب القدر، باب: ما من مولود يولد إلا على الفطرة.

ولا كن أن توجد صدفة، لأن كل حادث لابد له من   دث، ولأن وجودها على هذا النظام البديع، والتناسق ا تآلف، والارتباط ا لتحم ب   الأسباب ومسبباتا، وب   الكائنات بعضها مع بعض نع منعاً باتاً أن يكون وجودها صدفة، إذ ا وجود صدفة ليس على نظام أصل وجوده فكيف يكون منتظماً حال بقائه وتطوره؟!

وإذا   كن أن توجد هذه ا خلوقات نفسها بنفسها، ولا أن توجد صدفة تع   أن يكون ا موجد وهو ا   رب العا   .

وقد ذكر ا   تعا   هذا الدليل العقلي وال هان القطعي   سورة الطور، حيث قال: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (الطور:٣٥) يع   أنم   لقوا من غ   خالق، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم، فتع   أن يكون خالقهم هو ا   تبارك وتعا ، و ذا   ا   ع – جب   بن مطعم – رضي ا   عنه رسول ا   صلى ا   عليه وسلم يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ * أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ (الطور:٣٥-٣٧) وكان – جب   يومئذ مشركاً قال: "كاد قل   أن يط ، وذلك أول ما وقر الإ ان   قل " رواه – البخاري – مفرقاً[1].

ولنضرب مثلاً يوضح ذلك، فإنه لو حدثك شخص عن قص   مشيد، أحاطت به ا دائق، وجرت بينها الأنار، وملئ بالفرش والأسرة، وزين

[1] أخرجه البخاري، كتاب التفسير، سورة الطور جـ ٤، صـ ١٨٣٩.

بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته، وقال لك: إن هذا القصر وما فيه من كمال قد أوجد نفسه، أو وجد هكذا صدفة بدون موجد، لبادرت إ إنكار ذلك وتكذيبه، وعددت حديثه سفها من القول، أفيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه و ائه، وأفلاكه وأحواله، ونظامه البديع الباهر، قد أوجد نفسه، أو وجد صدفة بدون موجد؟!

٣- وأما دلالة الشرع على وجود ا تعا : فلأن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك، وما جاءت به من الأحكام ا تضمنة صا لق دليل على أنا من رب حكيم عليم صا خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية ال شهد الواقع بصدقها دليل على أنا من رب قادر على إ اد ما أخ به.

٤- وأما أدلة ا س على وجود ا فمن وجه :

أحد ا: أننا نسمع ونشاهد من إجابة الداع ، وغوث ا كروب ، ما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعا ، قال ا تعا : وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ (الأنبياء:الآية٧٦) وقال تعا : إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ (الأنفال:الآية٩) و صحيح البخاري عن – أنس بن مالك رضي ا عنه: "أن أعرابياً دخل يوم ا معة والن صلى ا عليه وسلم طب، فقال: (يا رسول ا)، هلك ا ال، وجاع العيال، فادع ا لنا، فرفع يديه ودعا فثار السحاب أمثال ا بال فلم ي ل عن من ه ح رأيت ا طر يتحادر على يته. و ا معة الثانية قام ذلك الأعرا أو غ ه

. . . .

فقال: (يا رسول ا) تدم البناء وغرق ا ال، فادع ا لنا، فرفع يديه وقال: "ا حوالينا ولا علينا" ، فما يش إ ناحية إلا انفرجت"[1]

وما زالت إجابة الداء أمراً مشهوداً إ يومنا هذا ن صدق اللجوء إ ا تعا وأتى بشرائط الإجابة.

الوجه الثا : أن آيات الأنبياء ال تسمى (ا عجزات) ويشاهدها الناس، أو يسمعون با، برهان قاطع على وجود مرسلهم، وهو ا تعا ، لأنا أمور خارجة عن نطاق البشر، ريها ا تعا تأييداً لرسله ونصراً م .

مثال ذلك: آية موسى صلى ا عليه وسلم ح أمره ا تعا أن يضرب بعصاه البحر، فضربه فانفلق اثـ عشر طريقاً يابساً، وا اء بينها كا بال، قال ا تعا : فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (الشعراء:٦٣) .

ومثال ثان: آية عيسى صلى ا عليه وسلم حيث كان ا وتى، و رجهم من قبورهم بإذن ا ، قال ا تعا : وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ (آل عمران:الآية٤٩) وقال: وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي (ا ائدة:الآية١١٠).

ومثال ثالث: مد صلى ا عليه وسلم ح طلبت منه قريش آية، فأشار إ القمر فانفلق فرقت فرآه الناس، و ذلك قوله تعا اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب: رفع اليدين في الدعاء. ومسلم، كتاب الاستسقاء، باب: الدعاء في الاستسقاء.

. . . .

الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِر (القمر:١-٢) فهذه الآيات ا سوسة ال ريها ا تعا تأييداً لرسله، ونصراً م، تدل دلالة قطعية على وجوده تعا .

الثا : الإ ان بربوبيته:

أي بأنه وحده الرب لا شريك له ولا مع .

والرب: له ا لق وا لك، والأمر، فلا خالق إلا ا ، ولا مالك إلا هو، ولا أمر إلا له، قال تعا : ألا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ (الأعراف:الآية٥٤) وقال: ذَلِكُمُ اللهُ رَبكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (فاطر:الآية١٣).

و يعلم أن أحداً من ا لق أنكر ربوبية ا سبحانه، إلا أن يكون مكابراً غ معتقد ا يقول، كما حصل من فرعون – ح قال لقومه: أَنَا رَبكُمُ الْأَعْلَى (النازعـات:الآية٢٤) وقال: يَأَيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي (القصص:الآية٣٨) لكن ذلك ليس عن عقيدة، قال ا تعا : وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً (النمل:الآية١٤) وقال موسى لفرعون فيما حكى ا عنه: قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاءِ إِلا رَب السمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِني لَأَظُنكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً (الإسراء:١٠٢)

و ذا كان ا شركون يقرون بربوبية ا تعا ، مع إشراكهم به الألوهية، قال ا تعا : قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ*سَيَقُولُونَ

. . . .

ِلِلهِ قُلْ أَفَلا َتذَكرُونَ* قُلْ مَنْ رَب السمَوَاتِ السبْعِ وَرَب الْعَرْشِ الْعَظِيمِ*سَيَقُولُونَ ِللهِ قُلْ أَفَلا َتتقُونَ* قُلْ مَنْ ِبيَدِهِ مَلَكُوتُ كُل شَيْءٍ وَهُوَ ُيجِيرُ وَلا ُيجَارُ عَلَيْهِ ِإنْ كُنْتُمْ َتعْلَمُونَ*سَيَقُولُونَ ِللهِ قُلْ فَأَنى ُتسْحَرُونَ (ا ؤمنون:٨٤-٨٩).

وقال ا تعا : وَلَئِنْ سَأَلْتهُمْ مَنْ خَلَقَ السمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيقُولُن خَلَقَهُن الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (الزخرف:٩).

وقال: وَلَئِنْ سَأَلْتهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيقُولُن اللهُ فَأَنى ُيؤْفَكُونَ (الزخرف:٨٧).

وأمر الرب سبحانه شامل للأمر الكو والشرعي فكما أنه مدبر الكون القاضي فيه ا يريد حسب ما تقتضيه حكمته، فهو كذلك ا اكم فيه بشرع العبادات وأحكام ا عاملات حسبما تقتضيه حكمته، فمن ا ذ مع ا تعا مشرعاً العبادات أو حاكماً ا عاملات فقد أشرك به و قق الإ ان.

الثالث: الإ ان بألوهيته:

أي (بأنه وحده الإله ا ق لا شريك له) و "الإله" ع ا ألوه"أي"ا عبود حباً وتعظيماً، وقال ا تعا : وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا ِإلَهَ ِإلا هُوَ الرحْمَنُ الرحِيمُ (البقرة:١٦٣) وقال تعا : شَهِدَ اللهُ أَنهُ لا ِإلَهَ ِإلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً ِبالْقِسْطِ لا ِإلَهَ ِإلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (آل عمران:١٨) وكل ما ا ذ إ ا مع ا يعبد من دونه فألوهيته باطلة، قال ا تعا : ذَلِكَ ِبأَن اللهَ هُوَ الْحَق وَأَن مَا َيدْعُونَ

مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (الحج:٦٢) وتسميتها آلهة لا يعطيها حق الألوهية قال الله تعالى في اللات والعزى ومناة: إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ (النجم:الآية٢٣) وقال عن هود أنه قال لقومه: أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ (الأعراف:الآية٧١) وقال عن يوسف أنه قال لصاحبي السجن: أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (يوسف:٣٩-٤٠). و ذا كانت الرسل عليهم الصلاة والسلام يقولون لأقوامهم اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ولكن أ ذلك ا شركون، وا ذوا من دون ا آ ة، يعبدونم مع ا سبحانه وتعا ، ويستنصرون بم، ويستغيثون.

وقد أبطل ا تعا ا اذ ا شرك هذه الآ ة ب هان عقلي :

الأول: أنه ليس هذه الآ ة ا ا ذوها شيء من خصائص الألوهية، فهي لوقة لا لق، ولا لب نفعاً لعابديها، ولا تدفع عنهم ضرراً، ولا لك م حياة ولا موتاً، ولا لكون شيئاً من السموات ولا يشاركون فيه.

قال ا تعا : وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلا حَيَاةً وَلا نُشُوراً (الفرقان:٣)

وقال تعا : قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ

ذَرةٍ فِي السمَوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِ ٍ * وَلا تَنفَعُ الشفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ (سـبأ:٢٢ - ٢٣).

وقال: أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (الأعراف:١٩١ - ١٩٢)

وإذا كانت هذه حال تلك الآ ة، فإن ا اذها آ ة من أسفه السفه، وأبطل الباطل.

الثا : أن هؤلاء ا شرك كانوا يقرون بأن ا تعا وحده الرب ا الق الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو ولا ار عليه، وهذا يستلزم أن يوحدوه بالألوهية كما وحدوه بالربوبية كما قال تعا : يَا أَيهَا الناسُ اعْبُدُوا رَبكُمُ الذِي خَلَقَكُمْ وَالذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلكُمْ تَتقُونَ* الذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (البقرة:٢١- ٢٢) وقال: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُن اللهُ فَأَنى يُؤْفَكُونَ (الزخرف:٨٧) وقال: قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمنْ يَمْلِكُ السمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَي مِنَ الْمَيتِ وَيُخْرِجُ الْمَيتَ مِنَ الْحَي وَمَنْ يُدَبرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلا تَتقُونَ * فَذَلِكُمُ اللهُ رَبكُمُ الْحَق فَمَاذَا بَعْدَ الْحَق إِلا الضلالُ فَأَنى تُصْرَفُونَ (يونس:٣١ - ٣٢)

الرابع: الإ ان بأ ائه وصفاته :

أي إثبات ما أثبته ا لنفسه كتابه، أو سنة رسوله صلى ا عليه وسلم من الأ اء

والصفات على الوجه اللائق به من غ ريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا ثيل، قال ا تعا : وَلِلهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (الأعراف:١٨٠) وقال: وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (الروم:الآية٢٧) وقال: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (الشورى:الآية١١).

وقد ضل هذا الأمر طائفتان:

إحدا ا: (ا عطلة) الذين أنكروا الأ اء، والصفات، أو بعضها، زاعم أن إثباتا يستلزم التشبيه، أي تشبيه ا تعا لقه، وهذا الزعم باطل لوجوه منها:

الأول: أنه يستلزم لوازم باطلة كالتناقض كلام ا سبحانه، وذلك أن ا تعا أثبت لنفسه الأ اء والصفات، ونفى أن يكون كمثله شيء، ولو كان إثباتا يستلزم التشبيه لزم التناقض كلام ا ، وتكذيب بعضه بعضاً.

الثا : أنه لا يلزم من اتفاق الشيئ اسم أو صفة أن يكونا متماثل ، فأنت ترى الشخص يتفقان أن كلاً منهما إنسان يع، بص ، متكلم، ولا يلزم من ذلك أن يتماثلا ا عا الإنسانية، والسمع والبصر، والكلام، وترى ا يوانات ا أيد وأرجل، وأع ولا يلزم من اتفاقها هذا أن تكون أيديها وأرجلها، وأعينها متماثلة.

فإذا ظهر التباين ب ا خلوقات فيما تتفق فيه من أ اء، أو صفات،

فالتباين بـ ا الق وا خلوق أبـ وأعظم.

الطائفة الثانية: (ا شبهة) الذين أثبتوا الأ اء والصفات مع تشبيه ا تعا لقه زاعم أن هذا مقتضى دلالة النصوص، لأن ا تعا اطب العباد ا يفهمون وهذا الزعم باطل لوجوه منها:

الأول: أن مشابة ا تعا لقه أمر باطل يبطله العقل، والشرع، ولا كن أن يكون مقتضى نصوص الكتاب والسنة أمراً باطلاً.

الثا : أن ا تعا خاطب العباد ا يفهمون من حيث أصل ا ع ، أما ا قيقة والكنه الذي عليه ذلك ا ع فهو ا استأثر ا تعا بعلمه فيما يتعلق بذاته، وصفاته.

فإذا أثبت ا لنفسه أنه يع، فإن السمع معلوم من حيث أصل ا ع (وهو إدراك الأصوات) لكن حقيقة ذلك بالنسبة إ ع ا تعا غ معلومة، لأن حقيقة السمع تتباين حـ ا خلوقات، فالتباين فيها بـ ا الق وا خلوق، أبـ وأعظم.

وإذا أخ ا تعا عن نفسه أنه استوى على عرشه فإن الاستواء من حيث أصل ا ع معلوم، لكن حقيقة الاستواء ا هو عليه غ معلومة بالنسبة إ استواء ا على عرشه لأن الاستواء تتباين حق ا خلوق، فليس الاستواء على كرسي مستقر كالاستواء على رحل بع صعب نفور، فإذا تباينت حق ا خلوق، فالتباين فيها بـ ا الق وا خلوق أبـ وأعظم.

وملائكته(١) ....

والإ ان با تعا على ما وصفنا يثمر للمؤمن ـرات جليلة منها:

الأو : قيق توحيد ا تعا يث لا يتعلق بغ ه رجاء، ولا خوفاً، ولا يعبد غ ه.

الثانية: كمال بة ا تعا ، وتعظيمه قتضى أ ائه ا سـ وصفاته العليا.

الثالثة: قيق عبادته بفعل ما أمر به، واجتناب ما نى عنه.

(١) ا لائكة: عا غي   لوقون، عابدون   تعا ، وليس م من خصائص الربوبية والألوهية شيء، خلقهم ا تعا من نور، ومنحهم الانقياد التام لأمره، والقوة على تنفيذه. قال ا تعا : وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ (الأنبياء:١٩- ٢٠). وهم عدد كث لا صيهم إلا ا تعا ، وقد ثبت   الصحيح من حديث أنس رضي ا عنه   قصة ا عراج أن الن   صلى ا عليه وسلم رفع له البيت ا عمور   السماء يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا   يعودوا إليه آخر ما عليهم.(١)

والإ ان با لائكة يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإ ان بوجودهم.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة. ومسلم، كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم وفرض الصلوات.

الثا : الإ ان ﻦ علمنا ا ه منهم با ه (كجـ يل) ومن نعلم ا ه نؤمن بم إ الاً.

الثالث: الإ ان ا علمنا من صفاتم، كصفة (جـ يل) فقد أخ النـ صلى ا عليه وسلم أنه رآه على صفته الـ خلق عليها وله ستمائة جناح قد سد الأفق.[1] وقد يتحول الملك بأمر ا تعا هيئة رجل، كما حصل (يل) حـ أرسله تعا إ - مر - فتمثل ا بشراً سوياً، وحـ جاء إ النـ صلى ا عليه وسلم وهو جالس أصحابه جاءه بصفة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه أحد من الصحابة، فجلس إ النـ صلى ا عليه وسلم فأسند ركبتيه إ ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وسأل النـ صلى ا عليه وسلم عن الإسلام، والإ ان والإحسان، والساعة، وأماراتا، فأجابه النـ صلى ا عليه وسلم فانطلق. قال النـ صلى ا عليه وسلم: "هذا جـ يل أتاكم يعلمكم دينكم". رواه مسلم.[2]

وكذلك الملائكة الذين أرسلهم ا تعا إ إبراهيم، ولوط كانوا صورة رجال.

الرابع: الإ ان ا علمنا من أعما م الـ يقومون با بأمر ا تعا ، كتسبيحه، والتعبد له ليلاً ونهاراً بدون ملل ولا فتور.

---

(١) البخاري، كتاب بدء الخلق، ٣٢٣٢-٣٢٣٣.
(٢) تقدم تخريجه.

وقد يكون لبعضهم أعمال خاصة.

مثل: جـ يل الأم على وحي ا تعا يرسله به إ الأنبياء والرسل.

ومثل: ميكائيل ا وكل بالقطر أي با طر والنبات.

ومثل: إسرافيل ا وكل بالنفخ الصور عند قيام الساعة وبعث ا لق.

ومثل: ملك ا وت ا وكل بقبض الأرواح عند ا وت.

ومثل: مالك ا وكل بالنار وهو خازن النار.

ومثل: ا لائكة ا وكل بالأجنة الأرحام إذا للإنسان أربعة أشهر بطن أمه، بعث ا إليه ملكاً وأمره بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد.

ومثل: ا لائكة ا وكل فظ أعمال بـ آدم وكتابتها لكل شخص، ملكان : أحد ا عن اليم ، والثا عن الشمال.

ومثل: ا لائكة ا وكل بسؤال ا يت إذا وضع ق ه يأتيه ملكان يسألانه عن ربه، ودينه، ونبيه.

والإ ان با لائكة يثمر ـرات جليلة منها:

الأو : العلم بعظمة ا تعا ، وقوته، وسلطانه، فإن عظمة ا خلوق من عظمة ا الق.

الثانية: شكر ا تعا على عنايته بـ آدم، حيث وكل من هؤلاء ا لائكة من يقوم فظهم، وكتابة أعما م، وغ ذلك من مصا هم.

الثالثة: بة ا لائكة على ما قاموا به من عبادة ا تعا .



وقد أنكر قوم من الزائغ كون ا لائكة أجساماً، وقالوا إنم عبارة عن قوى ا الكامنة ا خلوقات، وهذا تكذيب لكتاب ا تعا ، وسنة رسوله صلى ا عليه وسلم وإ اع ا سلم .

قال ا تعا : الْحَمْدُ لِلهِ فَاطِرِ السمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ (فاطر:الآية١).

وقال: وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوفى الذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (الأنفال:الآية٥٠)

وقال: وَلَوْ تَرَى إِذِ الظالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ (الأنعام:الآية٩٣).

وقال: حَتى إِذَا فُزعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبكُمْ قَالُوا الْحَق وَهُوَ الْعَلِي الْكَبِ (سـبأ:الآية٢٣)

وقال أهل ا نة: وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُل بَابٍ * سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدارِ (الرعد:٢٣،٢٤).

و صحيح البخاري عن أ هريرة رضي ا عنه أن الن صلى ا عليه وسلم قال: "إذا أحب ا العبد نادى ج يل إن ا ب فلاناً فأحبه، فيحبه ج يل، فينادي ج يل أهل السماء، ، إن ا ب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، يوضع له القبول الأرض".[١]

[١] أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة. ومسلم، كتاب البر والصلة، باب: إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده.

وكتبه[١] ....

وفيه أيضاً عنه قال: قال النـ صلى ا عليه وسلم: "إذا كان يوم ا معة كان على كل باب من أبواب ا سجد ا لائكة يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر".[١]

وهذه النصوص صر ة أن ا لائكة أجسام لا قوى معنوية، كما قال الزائغون وعلى مقتضى هذه النصوص أ ع ا سلمون.

(١) الكتب: ع (كتاب) ہ (مكتوب).

وا راد با هنا: الكتب ا أنز ا تعا على رسله ر ة للخلق، وهداية م، ليصلوا با إ سعادتم الدنيا والآخرة.

والإ ان بالكتب يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإ ان بأن نزو ا من عند ا حقاً.

الثا : الإ ان ا علمنا ا ه منها با ه كالقرآن الذي نزل على مد صلى ا عليه وسلم، والتوراة ا أنزلت على موسى صلى ا عليه وسلم، والإ يل الذي أنزل على عيسى صلى ا عليه وسلم، والزبور الذي أوتيه داود صلى ا عليه وسلم وأما نعلم ا ه فنؤمن به إ الاً.

الثالث: تصديق ما صح من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار ما يبدل أو رف من الكتب السابقة.

الرابع: العمل بإحكام ما ينسخ منها، والرضا والتسليم به سواء

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب: الاستماع إلى الخطبة. ومسلم، كتاب الجمعة، باب: فضل التهجير يوم الجمعة.

ورسله[1] ....

فهمنا حكمته أم نفهمها، و يع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم قال ا تعا : وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ (ا ائدة:الآية٤٨) أي (حاكماً عليه) وعلى هذا فلا وز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح منها وأقره القرآن.

والإ ان بالكتب يثمر رات جليلة منها:

الأو : العلم بعناية ا تعا بعباده حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به.

الثانية: العلم كمة ا تعا شرعه حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوا م. كما قال ا تعا : لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً (ا ائدة:الآية٤٨)

(١) الرسل: ع (رسول) ٤ (مرسل) أي مبعوث بإبلاغ شيء.

وا راد هنا: أوحى إليه من البشر بشرع وأمر بتبليغه. وأول الرسل نوح وآخرهم مد صلى ا عليه وسلم قال تعا : إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ (النساء:الآية١٦٣)

و صحيح البخاري عن-أنس بن مالك- رضي ا عنه حديث الشفاعة أن الن صلى ا عليه وسلم: "ذكر أن الناس يأتون إ آدم ليشفع م فيعتذر، إليهم ويقول: ائتوا نوحاً رسول بعثه ا – وذكر ام ديث"[1].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب: كلام الله مع الأنبياء يوم القيامة. ومسلم، كتاب الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلاً.

....

وقال ا تعا مد صلى ا عليه وسلم: مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّ (الأحزاب:الآية٤٠) و ل أمة من رسول يبعثه ا تعا بشريعة مستقلة إ قومه، أو ن يوحى إليه بشريعة من قبله ليجددها، قال ا تعا : وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ (النحل:الآية٣٦) وقال تعا : وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ (فاطر:الآية٢٤) وقال تعا : إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا (ا ائدة:الآية٤٤) والرسل بشر لوقون ليس م من خصائص الربوبية والألوهية شيء، قال ا تعا عن نبيه مد صلى ا عليه وسلم وهو سيد ا رسل وأعظمهم جاهاً عند ا : قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" (الأعراف:١٨٨) وقال تعا : قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلا رَشَداً * قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً (ا ـ ن:٢١- ٢٢) وتلحقهم خصائص البشرية من ا رض، وا وت، وا اجة إ الطعام والشراب، وغ ذلك، قال ا تعا عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام وصفه لربه تعا : وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ *

وَالذِي يُمِيتُنِي ثُم يُحْيِـ (الشعراء:٧٩ - ٨١)

وقال النـ صلى ا عليه وسلم: "إ ا أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكرو (١)

وقد وصفهم ا تعا بالعبودية له أعلى مقاماتم، و سياق الثناء عليهم فقال تعا نوح صلى ا عليه وسلم: ـإنهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً (الإسراء:الآية٣) وقال مد صلى ا عليه وسلم: تَبَارَكَ الذِي نَزلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِ نَذِيراً (الفرقان:١).

وقال إبراهيم، وإسحاق ويعقوب صلى ا عليهم وسلم: وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ * إنا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدارِ* وَإِنهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (ص:٤٥ - ٤٧). وقال عيسى بن مر صلى ا عليه وسلم: إِنْ هُوَ إِلا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرائيلَ (الزخرف:٥٩) والإ ان بالرسل يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإ ان بأن رسالتهم حق من ا تعا ، فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر با ميع. كما قال ا تعا : كَذبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِ (الشعراء:١٠٥) فجعلهم ا مكذب ميع الرسل مع أنه يكن رسول غ ه ح كذبوه، وعلى هذا فالنصارى الذين كذبوا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب القبلة، باب: التوجه نحو القبلة حيث كان. ومسلم، كتاب المساجد، باب: السهو في الصلاة والسجود له.

. . . .

مداً صلى ا عليه وسلم و يتبعوه هم مكذبون للمسيح بن مر غ متبع له أيضاً، لاسيما وأنه قد بشرهم حمد صلى ا عليه وسلم ولا مع لبشارتم به إلا أنه رسول إليهم ينقذهم ا به من الضلالة، ويهديهم إ صراط مستقيم.

الثا : الإ ان ن علمنا ا ه منهم با ه مثل: مد وإبراهيم، وموسى، وعيسى ونوح عليهم الصلاة والسلام، وهؤلاء ا مسة هم أولو العزم من الرسل، وقد ذكرهم ا تعا موضع من القرآن سورة الأحزاب قوله: وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النبِي ـ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ (الأحزاب:الآية٧) و سورة الشورى قوله: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدينِ مَا وَصى بِهِ نُوحاً وَالذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدينَ وَلا تَتَفَرقُوا فِيهِ (الشورى:الآية١٣).

وأما من نعلم ا ه منهم فنؤمن به إ الاً قال ا تعا : وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْك (غافر:الآية٧٨)

الثالث: تصديق ما صح عنهم من أخبارهم.

الرابع: العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خا هم مد صلى ا عليه وسلم ا رسل إ يع الناس قال ا تعا : فَلا وَرَبكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتى يُحَكمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُم لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِما قَضَيْتَ وَيُسَلمُوا تَسْلِيماً (النساء:٦٥).

وللإ ان بالرسل رات جليلة منها:

الأو : العلم بر ه ا تعا وعنايته بعباده حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إ صراط ا تعا ، ويبينوا م كيف يعبدون ا ، لأن العقل البشري لا يستقل معرفة ذلك.

الثانية: شكره تعا على هذه النعمة الك ى.

الثالثة: بة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم، والثناء عليهم ا يليق بم، لأنم رسل ا تعا ، ولأنم قاموا بعبادته، وتبليغ رسالته، والنصح لعباده.

وقد كذب ا عاندون رسلهم زاعم أن رسل ا تعا لا يكونون من البشر وقد ذكر ا تعا هذا الزعم وأبطله بقوله: وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللهُ بَشَراً رَسُولاً * قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِن لَنزلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَسُولاً (الإسراء:٩٤ - ٩٥) فأبطل ا تعا هذا الزعم بأنه لا بد أن يكون الرسول بشراً لأنه مرسل إ أهل الأرض، وهم بشر، ولو كان أهل الأرض ملائكة ل ل ا عليهم من السماء ملكاً رسولاً، ليكون مثلهم، وهكذا حكى ا تعا عن ا كذب للرسل أنم قالوا: إِنْ أَنْتُمْ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِ * قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ (إبراهيم:١٠-١١).

واليوم الآخر،[1] ....

(١) اليوم الآخر: يوم القيامة الذي يبعث الناس فيه للحساب وا زاء. و ي بذلك لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل ا نة مناز م، وأهل النار مناز م.

والإ ان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور:

الأول: الإ ان بالبعث: وهو إحياء ا وتى ح ينفخ الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس لرب العا ، حفاة غ منتعل ، عراة غ مستترين، غرلاً غ تتن ، قال ا تعا : كَمَا بَدَأْنَا أَولَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنا كُنا فَاعِلِ (الأنبياء:الآية١٠٤) والبعث: حق ثابت دل عليه الكتاب، والسنة، وإ اع ا سلم . قال ا تعا : ثُم إِنكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيتُونَ * ثُم إِنكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (ا ؤمنون:١٥- ١٦)

وقال الن صلى ا عليه وسلم: " شر الناس يوم القيامة حفاة غرلاً "[1] متفق عليه.

وأ ع ا سلمون على ثبوته، وهو مقتضى ا كمة حيث تقتضي أن عل ا تعا ذه ا ليقة معاداً ازيهم فيه على ما كلفهم به على ألسنة رسله قال ا تعا : أَفَحَسِبْتُمْ أَنمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (ا ؤمنون:١١٥) وقال لنبيه صلى ا عليه وسلم: إِن الذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادكَ إِلَى مَعَادٍ (القصص:الآية٨٥)

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب: كيف الحشر. ومسلم، كتاب الجنة، باب: الدنيا وبيان المحشر يوم القيامة.

. . . .

الثا : الإ ان با ساب وا زاء: اسب العبد على عمله، و ازى عليه، وقد دل على ذلك الكتاب، والسنة، وإ اع ا سلم ، قال ا تعا : إِن إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُم إِن عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (الغاشية:٢٥ - ٢٦) وقال: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسيئَةِ فَلا يُجْزَى إِلا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (الأنعام:١٦٠) وقال: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِ (الأنبياء:٤٧).

وعن ابن عمر رضي ا عنهما-أن الن صلى ا عليه وسلم –قال: "إن ا يد ا ؤمن فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب ح إذا قرره بذنوبه، ورأى أنه قد هلك قال: قد سترتا عليك الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكفار وا نافقون فينادى بم على رؤوس ا لائق هؤلاء الذين كذبوا على ربم، ألا لعنة ا على الظا ".[1] متفق عليه.

وصح عن الن صلى ا عليه وسلم: "أن من هم سنة فعملها، كتبها ا عنده عشر حسنات إ سبعمائة ضعف إ أضعاف كث ة، وأن من هم بسيئة فعملها كتبها ا سيئة واحدة"[2].

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب المظالم، باب: قوله تعالى: "ألا لعنة الله على الظالمين". ومسلم، كتاب التوبة، باب: قبول توبة القاتل وإن كثر قتله.

[2] أخرجه البخاري، كتاب الرقائق، باب: من همّ بحسنة أو سيئة. ومسلم، كتاب الإيمان، باب: الإسراء بالنبي عليه الصلاة والسلام إلى السماوات.

وقد أ ع ا سلمون على إثبات ا ساب وا زاء على الأعمال، وهو مقتضى ا كمة فإن ا تعا أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وفرض على العباد قبول ما جاءوا به، والعمل ا ب العمل به منه، وأوجب قتال ا عارض له وأحل دماءهم، وذرياتم، ونسائهم، وأموا م. فلو يكن حساب، ولا جزاء لكان هذا من العبث الذي ي ه الرب ا كيم عنه، وقد أشار ا تعا إ ذلك بقوله: فَلَنسْأَلَن الذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنسْأَلَن الْمُرْسَلِ َ * فَلَنقُصن عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنا غَائِبِ َ (الأعراف:٦ - ٧).

الثالث: الإ ان با نة والنار، وأنما ا آل الأبدي للخلق، فا نة دار النعيم ا أعدها ا تعا للمؤمن ا تق ، الذين آمنوا ا أوجب ا عليهم الإ ان به، وقاموا بطاعة ا ورسوله، لص متبع لرسوله. فيها من أنواع النعيم "مالا ع رأت، ولا أذن عت، ولا خطر على قلب بشر". قال ا تعا : إِن الذِينَ آمَنوا وَعَمِلُوا الصالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبهِمْ جَنات عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبداً رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبهُ (البينة:٧ - ٨).

وقال تعا : فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (السجدة:١٧) وأما النار فهي دار العذاب ا أعدها ا تعا للكافرين الظا ، الذين كفروا به وعصوا رسله، فيها من أنواع العذاب والنكال مالا طر على

البال قال ا تعا : وَاتقُوا النارَ التِي أُعِدتْ لِلْكَافِرِينَ (آل عمران:١٣١) وقال: ِإنا أَعْتَدْنَا لِلظالِمِ ـ َ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ َيسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ َيشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً (الكهف:الآية٢٩) وقال تعا : ِإن اللهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَد لَهُمْ سَعِ اً * خَالِدِينَ فِيهَا أَبداً لا َيجِدُونَ وَلِيّاً وَلا َنصِ اً *َيوْمَ تُقَلبُ وُجُوهُهُمْ ِفي النارِ َيقُولُونَ َيا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرسُولا (الأحزاب:٦٤ - ٦٦).

ويلتحق بالإ ان باليوم الآخر: الإ ان بكل ما يكون بعد ا وت مثل:

(أ) **فتنة الق :** وهي سؤال ا يت بعد دفنه عن ربه، ودينه، ونبيه، فيثبت ا الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول: ر ا ، ودي الإسلام، ون مد صلى ا عليه وسلم. ويضل ا الظا فيقول الكافر هاه، هاه، لا أدري. ويقول ا نافق أو ا رتاب لا أدري عت الناس يقولون شيئاً فقلته.

(ب) **عذاب الق ونعيمه:** فيكون العذاب للظا من ا نافق والكافرين قال ا تعا : وَلَوْ َترَى ِإذِ الظالِمُونَ ِفي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ َباسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَق وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ َتسْتَكْبِرُونَ (الأنعام:الآية٩٣) وقال تعا : النارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ َتقُومُ الساعَةُ أَدْخِلُوا آلَ ِفرْعَوْنَ أَشَد الْعَذَابِ (غافر:٤٦).

و صحيح مسلم من حديث زيد بن ثابت عن الن صلى ا عليه وسلم قال: "فلولا أن لا تدافنوا لدعوت ا أن يسمعكم من عذاب الق الذي أ ع منه،

. . . .

أقبل بوجهه فقال: تعوذوا با من عذاب النار. قالوا: نعوذ با من عذاب النار. فقال: تعوذوا با من عذاب الق . قالوا: نعوذ با من عذاب الق . قال: تعوذوا با من الف ما ظهر منها وما بطن. قال: تعوذوا با من فتنة الدجال. قالوا: نعوذ با من فتنة الدجال"[1].

وأما نعيم الق فللمؤمن الصادق قال ا تعا : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت:٣٠)

وقال تعا : ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ (الواقعة:٨٣ - ٨٩).

وعن ال اء بن عازب رضي ا عنه أن الن صلى ا عليه وسلم قال ا ؤمن إذا أجاب الملك ق ه: "ينادي مناد من السماء أن صدق عبدي، فأفرشوه من ا نة، وألبسوه من ا نة، وافتحوا له باباً إ ا نة، قال فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسحُ له ق ه مد بصره"[2] رواه أ د وأبو داود حديث طويل.

---

[1] رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.

[2] أخرجه الإمام أحمد ٢٧/٤، وأبو داود، كتاب السنة، باب: المسألة في عذاب القبر، والهيثمي في "مجمع الزوائد" ٤٩/٣-٥٠، وأبو نعيم في "الحلية" ١٠/٨، وابن أبي شيبة في "المصنف" ٣٧٤/٣، والآجري في "الشريعة" صـ ٣٢٧، وقال الهيثمي: "رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح".

. . . .

وللإ ان باليوم الآخر رات جليلة منها:

الأو : الرغبة فعل الطاعة وا رص عليها رجاء لثواب ذلك اليوم.

الثانية: الرهبة عند فعل ا عصية والرضى با خوفاً من عقاب ذلك اليوم.

الثالثة: تسلية ا ؤمن عما يفوته من الدنيا ا يرجوه من نعيم الآخرة وثوابا.

وقد أنكر الكافرون البعث بعد ا وت زاعم أن ذلك غ كن.

وهذا الزعم باطل دل على بطلانه الشرع، وا س، والعقل.

أما الشرع: فقد قال ا تعا : زَعَمَ الذِينَ كَفَرُوا أنْ لَنْ يُبعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبي لَتُبْعَثُن ثُم لَتُنبؤُن بِمَا عَمِلتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ (التغابن:٧) وقد اتفقت يع الكتب السماوية عليه.

وأما ا س: فقد أرى ا عباده إحياء ا وتى هذه الدنيا، و سورة البقرة سة أمثلة على ذلك وهي:

ا ثال الأول: قوم موسى ح قالوا له: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتى نَرَى اللهَ جَهْرَةً (البقرة:الآية٥٥) فأماتم ا تعا ، و أحياهم و ذلك يقول ا تعا اطباً ب إسرائيل: وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * ثُم بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلكُمْ تَشْكُرُونَ (البقرة:٥٥ - ٥٦).

. . . .

ا ثال الثا قصة القتيل الذي اختصم فيه بنو إسرائيل، فأمرهم ا تعا أن يذ وا بقرة فيضربوه ببعضها ليخ هم ن قتله، و ذلك يقول ا تعا : وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (البقرة:٧٢ - ٧٣).

ا ثال الثالث: قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم فراراً من ا وت وهم ألوف فأماتم ا تعا ، أحياهم و ذلك يقول ا تعا : أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ (البقرة:٢٤٣)

ا ثال الرابع: قصة الذي مر على قرية ميتة فاستبعد أن ييها ا تعا ، فأماته ا تعا مئة سنة، أحياه و ذلك يقول ا تعا : أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (البقرة:٢٥٩)

ا ثال ا امس: قصة إبراهيم ا ليل ح سأل ا تعا أن يريه

كيف ا وتى؟ فأمره ا تعا أن يذبح أربعة من الط ، ويفرقهن أجزاء على ا بال ال حوله، يناديهن فتلتئم الأجزاء بعضها إ بعض، ويأت إ إبراهيم سعياً، و ذلك يقول ا تعا : وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَب أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِن قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطيْرِ فَصُرْهُن إِلَيْكَ ثُم اجْعَلْ عَلَى كُل جَبَلٍ مِنْهُن جُزْءاً ثُم ادْعُهُن يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَن اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (البقرة:٢٦٠).

فهذه أمثلة حسية واقعية تدل على إمكانية إحياء ا وتى، وقد سبقت الإشارة إ ما جعله ا تعا من آيات عيسى ابن مر من إحياء ا وتى وإخراجهم من قبورهم بإذن ا تعا .

وأما دلالة العقل فمن وجه :

أحد ا: أن ا تعا فاطر السموات والأرض وما فيهما، خالقهما ابتداء، والقادر على ابتداء ا لق لا يعجز عن إعادته، قال ا تعا : وَهُوَ الذِي يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُم يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ (الروم:الآية٢٧) وقال تعا : كَمَا بَدَأْنَا أَولَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنا كُنا فَاعِلِ (الأنبياء:الآية١٠٤) وقال آمرا بالرد على من أنكر إحياء العظام وهي رميم: قُلْ يُحْيِيهَا الذِي أَنْشَأَهَا أَولَ مَرةٍ وَهُوَ بِكُل خَلْقٍ عَلِيمٌ (يـس:٧٩)

الثا : أن الأرض تكون ميتة هامدة ليس فيها شجرة خضراء، في ل عليها ا طر فتهتز خضراء حية فيها من كل زوج بيج، والقادر على إحيائها

بعد موتا، قادر على إحياء الأموات. قال ا تعا : وَمِنْ آيَاتِهِ أَنكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزتْ وَرَبَتْ إِن الذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنهُ عَلَى كُل شَيْءٍ قَدِيرٌ (فصلت:٣٩) وقال تعا : وَنَزلْنَا مِنَ السمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنتٍ وَحَب الْحَصِيدِ * وَالنخْلَ بَاسِقَتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ* رِزْقاً لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (قّ:٩ - ١١).

وقد ضل قوم من أهل الزيغ فأنكروا عذاب الق ، ونعيمه، زاعم أن ذلك غ كن خالفة الواقع، قالوا فإنه لو كشف عن ا يت ق ه لوجد كما كان عليه، والق يتغ بسعة ولا ضيق.

وهذا الزعم باطل بالشرع، وا س، والعقل:

أما الشرع: فقد سبقت النصوص الدالة على ثبوت عذاب الق ، ونعيمه فقرة (ب) ا يلتحق بالإ ان باليوم الآخر.[1]

و صحيح البخاري – من حديث – ابن عباس رضي ا عنهما قال: "خرج النب صلى ا عليه وسلم من بعض حيطان ا دينة ، فسمع صوت إنسان يعذبان قبور ا"[2] وذكر ا ديث، وفيه: "أن أحد ا كان لا يستتر من البول" و –رواية – "من (بوله) وأن الآخر كان شي بالنميمة".

وأما ا س: فإن النائم يرى منامه أنه كان مكان فسيح بيج يتنعم

---

[1] انظر: صـ ١٠٣.

[2] رواه البخاري، كتاب الوضوء، باب: من الكبائر أن لا يستبرأ من بوله. ومسلم، كتاب الطهارة، باب: الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه.

. . . .

فيه، أو أنه كان مكان ضيق موحش يتأ منه، ور ا يستيقظ أحياناً ا رأى، ومع ذلك فهو على فراشه حجرته على ما هو عليه، والنوم أخو ا وت و ذا اه ا تعا "وفاة"، قال ا تعا : اللهُ يَتَوَفى الْأَنفُسَ حِ َ مَوْتِهَا وَالتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ التِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً (الزمر:الآية٤٢).

وأما العقل: فإن النائم منامه يرى الرؤيا ا ق ا طابقة للمواقع، ور ا رأى الن صلى ا عليه وسلم على صفته، ومن رآه على صفته فقد رآه حقاً ومع ذلك فالنائم حجرته على فراشه بعيداً عما رأى، فإن كان هذا كناً أحوال الدنيا، أفلا يكون كناً أحوال الآخرة؟!

وأما اعتمادهم فيما زعموه على أنه لو كشف عن ا يت ة ه لوجد كما كان عليه، والق يتغ بسعة ولا ضيق، فجوابه من وجوه منها:

الأول: أنه لا وز معارضة ما جاء به الشرع ثل هذه الشبهات الداحضة ال لو تأمل ا عارض با ما جاء به الشرع حق التأمل لعلم بطلان هذه الشبهات وقد قيل:

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

الثا : أن أحوال ال زخ من أمور الغيب ال لا يدركها ا س، ولو كانت تدرك با س لفاتت فائدة الإ ان بالغيب، ولتساوى ا ؤمنون بالغيب، وا احدون التصديق با.

الثالث: أن العذاب والنعيم وسعة الق وضيقه إ ا يدركها ا يت

. . . .

دون غ ه، وهذا كما يرى النائم منامه أنه مكان ضيق موحش، أو مكان واسع بيج، وهو بالنسبة لغ ه يتغ منامه هو حجرته وب فراشه وغطائه، ولقد كان الن صلى ا عليه وسلم يوحى إليه وهو ب أصحابه فيسمع الوحي، ولا يسمعه الصحابة، ور ا يتمثل له ا لملك رجلاً فيكلمه والصحابة لا يرون ا لملك، ولا يسمعونه.

الرابع: أن إدراك ا لخلق دود ا مكنهم ا تعا من إدراكه ولا كن أن يدركوا كل موجود، فالسموات السبع والأرض ومن فيهن، وكل شيء يسبح مد ا تسبيحاً حقيقياً يسمعه ا تعا من شاء من خلقه أحياناً. ومع ذلك هو جوب عنا، و ذلك يقول ا تعا : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (الإسراء:الآية٤٤) وهكذا الشياط ، وا ن، يسعون الأرض ذهاباً وإياباً، وقد حضرت ا ن إ رسول ا صلى ا عليه وسلم وا تعوا لقراءته وأنصتوا وولوا إ قومهم منذرين. ومع هذا فهم جوبون عنا و ذلك يقول ا تعا : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف:٢٧). وإذا كان ا لخلق لا يدركون كل موجود، فإنه لا وز أن ينكروا ما ثبت من أمور الغيب، و يدركوه.

* * * *

وتؤمن بالقدر خ ه وشره[١] والدليل على هذه الأركان الستة قوله

(١) القدر بفتح الدال: "تقدير ا تعا للكائنات، حسبما سبق علمه، واقتضته حكمته".

والإ ان بالقدر يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإ ان بأن ا تعا علم بكل شيء لة وتفصيلاً، أزلاً وأبداً، سواء كان ذلك ا يتعلق بأفعاله أو بأفعال عباده.

الثا : الإ ان بأن ا كتب ذلك اللوح ا فوظ، و هذين الأمرين يقول ا تعا : أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ (ا ج:٧٠). و صحيح مسلم- عن عبد ا بن عمرو بن العاص رضي ا عنهما قال: عت رسول ا صلى ا عليه وسلم "كتب ا مقادير ا لائق قبل أن لق السموات والأرض مس ألف سنة"[١].

الثالث: الإ ان بأن يع الكائنات لا تكون إلا شيئة ا تعا ، سواء كانت ا يتعلق بفعله أم ا يتعلق بفعل ا خلوة ، قال ا تعا فيما يتعلق بفعله: وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ (القصص:الآية٦٨)، وقال: وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ (إبراهيم:الآية٢٧) وقال: هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ (آل عمران:الآية٦) وقال تعا فيما يتعلق بفعل ا خلوة : وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ (النساء:الآية٩٠) وقال: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (الأنعام:الآية١١٢)

---

(١) رواه مسلم، كتاب القدر، باب: ذكر حجاج آدم وموسى عليهما السلام.

تعا : لَيْسَ الْبِر أَنْ تُوَلوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِق وَالْمَغْرِبِ وَلَكِن الْبِر مَنْ

الرابع: الإ ان بأن يع الكائنات لموقة تعا بذواتا، وصفاتا، وحركاتا، قال ا تعا : اللَّهُ خَالِقُ كُل شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُل شَيْءٍ وَكِيلٌ (الزمر:٦٢) وقال: وَخَلَقَ كُل شَيْءٍ فَقَدرَهُ تَقْدِيراً (الفرقان:الآية٢) وقال عن ن ا إبراهيم صلى ا عليه وسلم أنه قال لقومه: وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (الصافات:٩٦)

والإ ان بالقدر على ما وصفنا لا ينا أن يكون للعبد مشيئة أفعاله الاختيارية وقدرة عليها، لأن الشرع والواقع دالان على إثبات ذلك له.

أما الشرع: فقد قال ا تعا ا شيئة: فَمَنْ شَاءَ اتخَذَ إِلَى رَبهِ مَآباً (النبأ:الآية٣٩) وقال: فَأْتوا حَرْثَكُمْ أنى شِئْتُمْ (البقرة:الآية٢٢٣) وقال القدرة: فَاتقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا (التغابن:الآية١٦) وقال: لا يُكَلفُ اللهُ نَفْساً إِلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ (البقرة:الآية٢٨٦).

وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم أن له مشيئة وقدرة بما يفعل وبما يترك، ويفرق ب ما يقع: بإرادته كا شي وما يقع بغ إرادته كالارتعاش، لكن مشيئة العبد وقدرته واقعتان شيئة ا تعا وقدرته لقول ا تعا : لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَب الْعَالَمِ (التكوير:٢٨ - ٢٩) ولأن الكون كله ملك تعا فلا يكون ملكه شيء بدون علمه ومشيئته.

والإ ان بالقدر على ما وصفنا لا نح العبد حجة على ما ترك من

الواجبات أو فعل من ا عاصي، وعلى هذا فاحتجاجه به باطل من وجوه:

الأول: قوله تعا : سَيَقُولُ الذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذبَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتبِعُونَ إِلا الظن وَإِنْ أَنْتُمْ إِلا تَخْرُصُونَ (الأنعام:١٤٨) ولو كان م حجة بالقدر ما أذاقهم ا بأسه.

الثا : قوله تعا : رُسُلاً مُبَشرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلناسِ عَلَى اللهِ حُجةٌ بَعْدَ الرسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً (النساء:١٦٥) ولو كان القدر حجة للمخالف تنتف بإرسال الرسل، لأن ا خالفة بعد إرسا م واقعة بقدر ا تعا .

الثالث: ما رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن علي بن أ طالب رضي ا عنه أن الن صلى ا عليه وسلم قال: "ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو ا نة. فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول ا ؟ قال: لا، اعملوا فكل ميسر، قرأ فَأَما مَنْ أَعْطَى وَاتقَى (الليل:٥)"[(١)] الآية. و لفظ سلم: "فكل ميسر ا خلق له"[(٢)] فأمرهم الن صلى ا عليه وسلم بالعمل ونى عن الاتكال على القدر.

الرابع: أن ا تعا أمر العبد وناه، و يكلفه إلا ما يستطيع، قال ا تعا : فَاتقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ (التغابن:الآية١٦) وقال: لا يُكَلفُ

---

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير.

(٢) رواه مسلم، كتاب القدر، باب: كيفية الخلق الآدمي ...

ودليل القدر قوله تعا : ﴿إنا كُل شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر:٤٩)،

اللهُ نَفْساً إِلا وُسْعَهَا﴾ (البقرة:الآية٢٨٦) ولو كان العبد أ على الفعل لكان مكلفاً ا لا يستطيع ا لاص منه، وهذا باطل ولذلك إذا وقعت منه ا عصية هل، أو نسيان، أو إكراه، فلا إ عليه لأنه معذور.

ا امس: أن قدر ا تعا سر مكتوم لا يعلم به إلا بعد وقوع ا قدور، وإرادة العبد ا يفعله سابقة على فعله فتكون إرادته الفعل غ مبنية على علم منه بقدر ا ، وحينئذ تنفي حجته بالقدر إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلمه.

السادس: أننا نرى الإنسان رص على ما يلائمه من أمور دنياه ح يدركه ولا يعدل عنه إ ما لا يلائمه تج على عدوله بالقدر، فلماذا يعدل عما ينفعه أمور دينه إ ما يضره تج بالقدر؟ أفليس شأن الأمرين واحداً؟

وإليك مثالاً يوضح ذلك: لو كان ب يدي الإنسان طريقان أحد ا ينتهي به إ بلد كلها فوضى وقتل ونب وانتهاك للأعراض وخوف وجوع والثا ينتهي به إ بلد كلها نظام، وأمن مستتب، وعيش رغيد، واحترام للنفوس والأعراض والأموال، فأي الطرية يسلك؟ إنه سيسلك الطريق الثا الذي ينتهي به إ بلد النظام والأمن، ولا كن لأي عاقل أبداً أن يسلك طريق بلد الفوضى، وا وف، و تج بالقدر، فلماذا يسلك أمر الآخرة طريق النار دون ا نة و تج بالقدر؟

مثال آخر: نرى ا ريض يؤمر بالدواء فيشربه ونفسه لا تشتهيه، وينهى عن الطعام الذي يضره فيتركه ونفسه تشتهيه، كل ذلك طلباً للشفاء

. . . .

والسلامة، ولا كن أن تنع عن شرب الدواء أو يأكل الطعام الذي يضره و تج بالقدر فلماذا يترك الإنسان ما أمر ا ورسوله، أو يفعل ما نى ا ورسوله تج بالقدر؟

السابع: أن ا تج بالقدر على ما تركه من الواجبات أو فعله من ا عاصي، لو اعتدى عليه شخص فأخذ ماله أو انتهك حرمته احتج بالقدر، وقال: لا تلم فإن اعتدائي كان بقدر ا ، يقبل حجته. فكيف لا يقبل الاحتجاج بالقدر اعتداء غ ه عليه، و تج به لنفسه اعتدائه على حق ا تعا ؟

ويذكر أن – أم ا ؤمن – عمر بن ا طاب رضي ا عنه رفع إليه سارق استحق القطع، فأمر بقطع يده فقال: مهلاً يا أم ا ؤمن ، فإ ا سرقت بقدر ا . فقال: و ن إ ا نقطع بقدر ا .

وللإ ان بالقدر رات جليلة منها:

الأو : الاعتماد على ا تعا ، عند فعل الأسباب يث لا يعتمد على السبب نفسه لأن كل شيء بقدر ا تعا .

الثانية: أن لا يعجب ا رء بنفسه عند حصول مراده، لأن حصوله نعمة من ا تعا ، ا قدره من أسباب ا ، والنجاح، وإعجابه بنفسه ينسيه شكر هذه النعمة.

الثالثة: الطمأنينة، والراحة النفسية ا رى عليه من أقدار ا تعا فلا يقلق بفوات بوب، أو حصول مكروه، لأن ذلك بقدر ا الذي له

. . . .

ملك السموات والأرض، وهو كائن لا الة و ذلك يقول ا تعا : مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لا يُحِب كُل مُخْتَالٍ فَخُورٍ (ا ديد:٢٢ - ٢٣) و يقول النـ صلى ا عليه وسلم: "عجباً لأمر ا ؤمن إن أمره كله خ ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خ اً له، وإن أصابته ضراء صـ فكان خ اً له"[١] رواه مسلم.

وقد ضل القدر طائفتان:

إحدا ا: ا ية الذين قالوا إن العبد على عمله وليس له فيه إرادة ولا قدرة.

الثانية: القدرية الذين قالوا إن العبد مستقل بعمله الإرادة والقدرة، وليس شيئة ا تعا وقدرته فيه أثر.

والرد على الطائفة الأو (ا ية) بالشرع والواقع:

أما الشرع: فإن ا تعال أثبت للعبد إرادة ومشيئة، وأضاف العمل إليه قال ا تعا : مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ (آل عمران:الآية١٥٢) وقال: وَقُلِ الْحَق مِنْ رَبكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنا أَعْتَدْنَا لِلظالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا (الكهف:الآية٢٩) وقال: مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبكَ

---

[١] رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب: المؤمن أمره كله خير.

. . . .

ِبظَلاّمٍ ِللْعَبِيدِ (فصلت:٤٦).

وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم الفرق ب أفعاله الاختيارية ال يفعلها بإرادته كالأكل، والشرب، والبيع والشراء، وب ما يقع عليه بغ إرادته كالارتعاش من ا مى، والسقوط من السطح، فهو الأول فاعل تار بإرادته من غ ج ، و الثا غ تار ولا مريد ا وقع عليه.

والرد على الطائفة الثانية "القدرية" بالشرع والعقل:

أما **الشرع:** فإن ا تعا خالق كل شيء، وكل شيء كائن شيئة، وقد ب ا تعا كتابه أن أفعال العباد تقع شيئته فقال تعا : وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الذِينَ ِمنْ َبعْدِهِمْ ِمنْ َبعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَينَتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِن اللهَ َيفْعَلُ مَا ُيرِيدُ (البقرة:الآية٢٥٣) وقال تعا : وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُل َنفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَق الْقَوْلُ ِمني لَأَمْلَأَن جَهَنمَ ِمنَ الْجِنةِ وَالناسِ أَجْمَعِ َ" (السجدة:١٣).

وأما العقل: فإن الكون كله لوك تعا ، والإنسان من هذا الكون فهو لوك تعا ، ولا كن للمملوك أن يتصرف ملك ا الك إلا بإذنه ومشيئته.

* * * *

ا رتبة الثالثة: الإحسان، ركن واحد وهو " أن تعبد ا كأنك تراه فإن تكن تراه فإنه يراك" والدليل قوله تعا : ﴿إِن اللهَ مَعَ الذِينَ اتقَوْا وَالذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل:١٢٨)، وقوله: ﴿وَتَوَكلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرحِيمِ * الذِي يَرَاكَ حِ تَقُومُ * وَتَقَلبَكَ فِي الساجِدِينَ * إِنهُ هُوَ السمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الشعراء:٢١٧ - ٢٢٠). وقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلا كُنا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ (يونس:الآية٦١)

---

(١) الإحسان ضد الإساءة وهو أن يبذل الإنسان ا عروف ويكف الأذى فيبذل ا عروف لعباد ا ماله، وجاهه، وعلمه، وبدنه.

فأما ا ال فأن ينفق ويتصدق ويزكي وأفضل أنواع الإحسان با ال الزكاة، لأن الزكاة أحد أركان الإسلام، ومبانيه العظام، ولا يتم إسلام ا رء إلا با، وهي أحب النفقات إ ا عز وجل، ويلي ذلك، ما ب على الإنسان من نفقة لزوجته، وأمه، وأبيه، وذريته، وإخوانه، وب إخوته، وأخواته، وأعمامه، وعماته، وخالاته إ آخر هذا، الصدقة على ا ساك وغ هم، ن هم أهل للصدقة كطلاب العلم مثلاً.

وأما بذل ا عروف ا اه فهو أن الناس مراتب، منهم من له جاه عند ذوي السلطان فيبذل الإنسان جاهه، يأتيه رجل فيطلب منه الشفاعة إ ذي السلطان يشفع له عنده، إما بدفع ضرر عنه، أو لب خ له.

وأما بعلمه فإن يبذل علمه لعباد ا ، تعليماً ا لقات والالس

. . . .

العامة وا اصة، ح لو كنت لس قهوة، فإن من ا والإحسان أن تعلم الناس، ولو كنت لس عام فمن ا أن تعلم الناس، ولكن استعمل ا كمة هذا الباب، فلا تثقل على الناس حيث كلما جلست لسٍ جعلت تعظهم وتتحدث إليهم، لأن الن صلى ا عليه وسلم كان يتخو م با وعظة، ولا يكثر، لأن النفوس تسأم و ل فإذا ملت كلت وضعفت، ور ا تكره ا لكثرة من يقوم ويتكلم.

وأما الإحسان إ الناس بالبدن فقد قال الن عليه الصلاة والسلام: "وتع الرجل دابته فتحمله عليها، أو ترفع عليها متاعه صدقة"[1]. فهذا رجل تعينه مل متاعه معه، أو تدله على طريق أو ما أشبه ذلك فكل ذلك من الإحسان، هذا بالنسبة للإحسان إ عباد ا .

وأما بالنسبة للإحسان عبادة ا : فأن تعبد ا كأنك تراه، كما قال الن صلى ا عليه وسلم وهذه العبادة أي عبادة الإنسان ربه كأنه يراه عبادة طلب وشوق، وعبادة الطلب والشوق د الإنسان من نفسه حاثاً عليها، لأنه يطلب هذا الذي به، فهو يعبده كأنه يراه، فيقصده وينيب إليه ويتقرب إليه سبحانه وتعا ، "فإن تكن تراه فإنه يراك"، وهذه عبادة ا رب وا وف، و ذا كانت هذه ا رتبة ثانية الإحسان، إذا تكن تعبد ا – عز وجل – كأنك تراه وتطلبه، و ث النفس للوصول إليه فاعبده كأنه هو الذي يراك، فتعبده عبادة خائف منه، هارب من عذابه وعقابه، وهذه

[1] رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب: فضل من حمل متاع صاحبه. ومسلم، كتاب الزكاة، باب: بيان أن اسم الصدق يقع في كل نوع من المعروف.

. . . .

الدرجة عند أرباب السلوك أد   من الدرجة الأو .

وعبادة ا   – سبحانه وتعا   – هي كما قال ابن القيم – ر   ه ا   - :

وعبادة الر ن غاية حبه   مع ذل عابده   ا ركنان

فالعبادة مبنية على هذين الأمرين: غاية ا   ب، وغاية الذل، ففي ا   ب الطلب، و   الذل ا   وف وا رب، فهذا هو الإحسان   عبادة ا   عز وجل. وإذا كان الإنسان يعبد ا   على هذا الوجه، فإنه سوف يكون   لصاً   – عز وجل – لا يريد بعبادته رياء ولا   عة، ولا مرحاً عند الناس، وسواء اطلع الناس عليه أم   يطلعوا، الكل عنده سواء، وهو   سن العبادة على كل حال، بل إن من   ام الإخلاص أن   رص الإنسان على ألا يراه الناس   عبادته، وأن تكون عبادته مع ربه سراً، إلا إذا كان   إعلان ذلك مصلحة للمسلم   أو للإسلام، مثل أن يكون رجلاً متبوعاً يقتدى به، وأحب أن يبـ   عبادته للناس ليأخذوا من ذلك نـ اساً يسـ ون عليه أو كان هو   ب أن يظهر العبادة ليقتدي بـا زملاؤه وقرناؤه وأصحابه ففي هذا خـ ، وهذه ا صلحة الـ   يلتفت إليها قد تكون أفضل وأعلى من مصلحة الإخفاء،   ذا يـثـ   ا   – عز وجل – على الذين ينفقون أموا م سرا وعلانية، فإذا كان السر أصلح وأنفع للقلب وأخشع وأشد إنابة إ   ا   أسروا، وإذا كان   الإعلان مصلحة للإسلام بظهور شرائعه، وللمسلم   يقتدون بـذا الفاعل وهذا العامل أعلنوه.

وا ؤمن ينظر ما هو الأصلح، كلما كان أصلح وأنفع   العبادة فهو أكمل وأفضل.

وَالدلِيْلُ مِنَ السُنةِ: حَدِيْثُ جِبْرَائِيلُ الْمَشْهُورُ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ ا ُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنما نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُوْلِ ا ِ صَلى ا ُ عَلَيْهِ وَسَلمْ ذَاتَ يَوم إِذْ طَلَعَ عَلَيْنا رَجُلٌ شَدِيْدَ بَياضِ الثِيابِ، شَدِيْدُ سَوَادِ الشعَرِ لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السفَرِ وَلا يَعْرِفُهُ مِنا أحَدٌ، حَتى جَلَسَ إِلَى الن صَلىَ ا ُ عَلَيْهِ وَسَلمْ فَأسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفيْهِ عَلَى فَخِذَيْه وَقَالَ: يَا مُحَمدُ أَخْبِرْني عَن الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُوْلُ ا ُ صَلىَ ا ُ عَلَيْهِ وَسَلمْ "الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا ا ُ وَأَن مُحَمدًا رَسُوْلُ ا ، وَتُقِيْمُ الصلاَةَ، وَتُؤْتيَ الزكَاةَ، وَتَصُوْمَ رَمَضَانَ، وَتَحُج الْبيتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً" قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِيْ عَن الإِيمَانِ، قَالَ: "أَنْ تُؤْمِنَ بِا ِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالَيوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرهِ"، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِيْ عَن الإِحْسَانِ، قَالَ: "أَنْ تَعْبُدَ ا َ كَأَنكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنهُ يَرَاكَ"، قَالَ: فَأَخْبِرْنِيْ عَن الساعَةِ، قَالَ: "مَا الْمَسْؤُوْلُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السائِلِ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِيْ عَن أَمَارَاتِهَا قَالَ: "أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبتَهَا،وَأَن تَرَى ا ُفَاةَ الْعُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشاءِ يَتطاوَلُوْنَ فِيْ الْبُنيانِ" قَالَ: فَمَضَى فَلَبِثْنَا مَلياً فَقَالَ: "يا عُمَرُ أَتَدْرِيْ مَن السائِلُ"؟ قُلْتُ: ا ُ وَرَسُوْلُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: قَالَ "هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلمُكُمْ أَمْرَ دِيْنِكُمْ"[1]

---

[1] رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: الإيمان والإسلام، وغالب هذا الحديث تقدم شرحه ولنا شرح عليه في مجموع الفتاوى والرسائل ١٤٣/٣.

الأصل الثالث[1]: معرفة نبيكم مد صلى ا عليه وسلم وهو: مد بن عبد ا بن عبد ا طلب بن هاشم وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إ اعيل، ابن إبراهيم ا ليل، عليه وعلى نبينا

(١) أي من الأصول الثلاثة ال ب على الإنسان معرفتها وهي معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه.

وقد سبق الكلام على معرفة العبد ربه ودينه.

وأما معرفة الن صلى ا عليه وسلم فتتضمن سة أمور:

الأول: معرفته نسباً فهو أشرف الناس نسباً، نسباً فهو ها ي قرشي عر فهو مد بن عبد ا بن عبد ا طلب بن هاشم إ آخر ما قاله الشيخ ر ه ا .

الثا : معرفة سنه، ومكان ولادته، ومهاجره وقد بينها الشيخ بقوله: "وله من العمر ثلاث وستون سنة، وبلده مكة، وهاجر إ ا دينة" فقد ولد كة وبقي فيها ثلاثا و س سنة، هاجر إ ا دينة فبقي فيها عشر سن ، تو فيها ربيع الأول سنة إحدى عشر بعد ا جرة.

الثالث: معرفة حياته النبوية وهي ثلاث وعشرون سنة فقد أوحي إليه وله أربعون سنة كما قال أحد شعرائه:

وأتت عليه أربعون فأشرقت س النبوة منه رمضان

الرابع: اذا كان نبياً ورسولاً؟ فقد كان نبياً ح نزل عليه قول ا تعا : اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإنسان مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإنسان مَا لَمْ يَعْلَمْ (العلق:١ - ٥)، كان رسولاً ح نزل عليه قوله تعا : يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ* قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ

أفضل الصلاة والسلام. وله من العمر: ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبياً ورسولا، نـ ء بإقرأ. وارسل با دثر، وبلده مكة، وهاجر إ ا دينة.

بعثه ا بالنذارة عن الشرك، ويدعو إ التوحيد[1]. والدليل قوله تعا : يَا أَيهَا الْمُدثرُ[2] * قُمْ فَأَنذِرْ[3] * وَرَبكَ فَكَبرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهرْ

فَكَبرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهرْ * وَالرجْزَ فَاهْجُرْ * وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ* وَلِرَبكَ فَاصْبِرْ (ا دثر:١ - ٧)، فقام صلى ا عليه وسلم فأنذر وقام بأمر ا عز وجل.

والفرق بـ الرسول والنـ كما يقول أهل العلم: أن النـ هو من أوحي إليه بشرع و يؤمر بتبليغه، والرسول من أوحى ا إليه بشرع وأمر بتبليغه والعمل به فكل رسول نـ ، وليس كل نـ رسولاً.

ا امس: اذا أرسل و اذا؟ فقد أرسل بتوحيد ا تعا وشريعته ا تضمنة لفعل ا أمور وترك ا ظور، وأرسل ر ة للعا لإخراجهم من ظلمة الشرك والكفر وا هل إ نور العلم والإ ان والتوحيد حـ ينالوا بذلك مغفرة ا ورضوانه وينجوا من عقابه وسخطه.

(١) أي ينذرهم عن الشرك ويدعوهم إ توحيد ا عز وجل ربوبيته وألوهيته وأ ائه وصفاته.

(٢) النداء لرسول ا صلى ا عليه وسلم.

(٣) يأمر ا عز وجل نبيه صلى ا عليه وسلم أن يقوم د ونشاط وينذر الناس عن الشرك و ذرهم منه وقد فسر الشيخ هذه الآيات.

وَالرجْزَ فَاهْجُرْ * وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ* وَلِرَبكَ فَاصْبِرْ (ا دثر:١ - ٧) ومع قم فأنذر : ينذر عن الشرك ويدعو إ التوحيد. وَرَبكَ فَكَبرْ أي: عظمه بالتوحيد، وَثِيَابَكَ فَطَهرْ أي: طهر أعمالك عن الشرك. وَالرجْزَ فَاهْجُرْ الرجز: الأصنام وهجرها تركها، وال اءة منها وأهلها.

أخذ على هذا عشر سن يدعو إ التوحيد[1] وبعد العشر عرج به إ السماء[2]، . . .

---

(١) أي أن الن صلى ا عليه وسلم بقي عشر سن يدعو إ توحيد ا عز وجل وإفراده بالعبادة سبحانه وتعا .

(٢) العروج الصعود ومنه قوله تعا : تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالروحُ إِلَيْهِ (ا عارج:الآية٤) وهو من خصائص الن صلى ا عليه وسلم العظيمة ال فضله ا به قبل أن يهاجر من مكة، فبينما هو نائم ا جر الكعبة أتاه آت فشق ما ب ثغرة ره إ أسفل بطنه استخرج قلبه فملأه حكمة وإ اناً تيئة ا سيقوم به أتى بدابة بيضاء دون البغل وفوق ا مار يقال ا ا اق يضع خطوه عند منتهى طرفه فركبه صلى ا عليه وسلم وبصحبته ج يل الأم ح وصل بيت ا قدس ف ل هناك وصلى بالأنبياء إماماً بكل الأنبياء وا رسل يصلون خلفه ليتب بذلك فضل رسول ا صلى ا عليه وسلم وشرفه وأنه الإمام ا تبوع، عرج به ج يل إ السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا؟ قال: ج يل. قيل: ومن معك؟ قال: مد، قيل: وقد أرسل إليه؟

. . . .

قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم الـيء جاء ففتح له فوجد فيها آدم فقال جـ يل: هذا أبوك آدم فسلم عليه، فسلم عليه فرد عليه السلام، وقال مرحباً بالابن الصا والنـ الصا ، وإذا على آدم أرواح السعداء وعلى يساره أرواح الأشقياء من ذريته فإذا نظر إ اليم سر وضحك وإذا نظر قبيل اله بكى، عرج به جـ يل إ السماء الثانية فاستفتح . .إ . فوجد فيها وعيسى عليهما الصلاة والسلام و ا ابنا ا الة كل واحد منهما ابن خالة الآخر فقال جـ يل: هذان وعيسى فسلم عليهما فسلم عليهما، فردا السلام وقالا: مرحباً بالأخ الصا والنـ الصا ، عرج به جـ يل إ السماء الثالثة فاستفتح . . . إ . فوجد فيها يوسف عليه الصلاة والسلام فقال جـ يل هذا يوسف فسلم عليه فسلم عليه، فرد السلام، وقال مرحباً بالأخ الصا والنـ الصا ، عرج به جـ يل إ السماء الرابعة فاستفتح . . إ فوجد فيها إدريس صلى ا عليه وسلم فقال جـ يل هذا إدريس فسلم عليه فسلم عليه فرد السلام، وقال: مرحباً بالأخ الصا والنـ الصا عرج به جـ يل إ السماء ا امسة فاستفتح . . . .إ . فوجد فيها هارون بن عمران أخا موسى صلى ا عليه وسلم فقال جـ يل هذا هارون فسلم عليه، فسلم عليه فرد عليه السلام وقال: مرحباً بالأخ الصا والنـ الصا عرج به جـ يل إ السماء السادسة فاستفتح . . . . إ . فوجد فيها موسى صلى ا عليه وسلم فقال جـ يل هذا موسى فسلم عليه، فسلم عليه فرد عليه السلام وقال: مرحباً بالأخ الصا والنـ الصا فلما اوزه بكى موسى فقيل له ما يبكيك قال: "أبكي لأن غلاماً

. . . .

بعث بعدي يدخل ا نة من أمته أكثر ن يدخلها من أم " فكان بكاء موسى حزناً على ما فات أمته من الفضائل لا حسداً لأمة مد صلى ا عليه وسلم، عرج به ج يل إ السماء السابعة فاستفتح . . . إ . فوجد فيها إبراهيم خليل الر ن صلى ا عليه وسلم فقال ج يل: هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه، فسلم عليه فرد عليه السلام وقال: مرحباً بالابن الصا والن الصا . وإ ا طاف ج يل برسول ا صلى ا عليه وسلم، على هؤلاء الأنبياء تكر اً له وإظهاراً لشرفه وفضله صلى ا عليه وسلم وكان إبراهيم ا ليل مسنداً ظهره إ البيت ا عمور السماء السابعة الذي يدخله كل يوم سبعون ألفاً من ا لائكة يتعبدون ويصلون رجون ولا يعودون اليوم الثا يأ غ هم من ا لائكة الذين لا صيهم إلا ا ، رفع الن صلى ا عليه وسلم إ سدرة ا نتهى فغشيها من أمر ا من البهاء وا سن ما غشيها ح لا يستطيع أحد أن يصفها من حسنها فرض ا عليه الصلاة س صلاة كل يوم وليلة فرضي بذلك وسلم نزل فلما مر وسى قال: ما فرض ربك على أمتك؟ قال: س صلاة كل يوم . فقال: إن أمتك لا تطيق ذلك وقد جربت الناس قبلك وعا ت ب إسرائيل أشد ا عا ة فارجع إ ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال الن صلى ا عليه وسلم فرجعت فوضع عن عشراً وما زال راجع ح استقرت الفريضة على س، فنادى مناد أمضيت فريض وخففت على عبادي. و هذه الليلة أدخل الن صلى ا عليه وسلم ا نة فإذا فيها قباب اللؤلؤ وإذا ترابها ا سك نزل رسول ا صلى ا عليه وسلم ح أتى مكة بغلس وصلى فيها الصبح(١).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة. ومسلم، كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم وفرض الصلوات.

وفرضت عليه الصلوات ا مس، وصلى مكة ثلاث سن[1]، وبعدها أمر با جرة[2] إ ا دينة . . . .

(١) وكان يصلي الرباعية ركعت ح هاجر إ ا دينة فأقرت صلاة السفر وزيد صلاة ا ضر.

(٢) أمر ا عز وجل نبيه مد صلى ا عليه وسلم با جرة إ ا دينة لأن أهل مكة منعوه أن يقيم دعوته، و شهر ربيع الأول من العام الثالث عشر من البعثة وصل الن صلى ا عليه وسلم إ ا دينة مهاجراً من مكة البلد الأول للوحي وأحب البلاد إ ا ورسوله، خرج من مكة مهاجراً بإذن ربه بعد أن قام كة ثلاث عشرة سنة يبلغ رسالة ربه ويدعو إليه على بص ة فلم د من أكثر قريش وأكابرهم سوى الرفض لدعوته والإعراض عنها، والإيذاء الشديد للرسول صلى ا عليه وسلم، ومن آمن به ح آل الأمر بم إ تنفيذ خطة ا كر وا داع لقتل الن صلى ا عليه وسلم حيث اجتمع ك اؤهم دار الندوة وتشاوروا ماذا يفعلون برسول ا صلى ا عليه وسلم ح رأوا أصحابه يهاجرون إ ا دينة وأنه لا بد أن يلحق بم و د النصرة والعون من الأنصار الذين بايعوه على أن نعوه ا نعون منه أبناءهم ونساءهم وحينئذ تكون له الدولة على قريش، فقال عدوا ا أبو جهل الرأي أن نأخذ من كل قبيلة ف شاباً جلداً نعطي كل واحد سيفاً صارماً يعمدوا إ مد فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه ونستريح منه فيتفرق دمه القبائل فلا يستطيع بنو عبد مناف. يع عش ة الن صلى ا عليه وسلم –أن اربوا قومهم يعاً ف ضون بالدية فنعطيهم إياها.

. . . .

فأعلم ا نبيه صلى ا عليه وسلم ا أراد ا شركون وأذن له با جرة وكان أبو بكر رضي ا عنه قد هز من قبل للهجرة إ ا دينة فقال له الن صلى ا عليه وسلم على رسلك فإن أرجو أن يؤذن فتأخر أبو بكر رضي ا عنه ليصحب الن صلى ا عليه وسلم، قالت عائشة رضي ا عنها فبينما ن بيت أ بكر ر الظه ة منتصف النهار إذا برسول ا صلى ا عليه وسلم على الباب مقتنعاً فقال أبو بكر فداء له أ وأمي وا ما جاء به هذه الساعة إلا أمر فدخل الن صلى ا عليه وسلم وقال لأ بكر: أخرج من عندك. فقال: إ ا هم أهلك بأ أنت وأمي. فقال الن صلى ا عليه وسلم قد أذن ا روج فقال أبو بكر الصحبة يا رسول ا . قال: نعم. فقال: يا رسول ا فخذ إحدى راحل هات . فقال الن صلى ا عليه وسلم: بالثمن خرج رسول ا صلى ا عليه وسلم وأبو بكر فأقاما غار جبل ثور ثلاث ليال يبيت عند ا عبد ا بن أ بكر وكان غلاماً شاباً ذكياً واعياً فينطلق آخر الليل إ مكة فيصبح من قريش فلا يسمع حول الن صلى ا عليه وسلم وصاحبه إلا وعاه ح يأ به إليهما ح تلط الظلام، فجعلت قريش تطلب الن صلى ا عليه وسلم من كل وجه وتسعى بكل وسيلة ليدركوا الن صلى ا عليه وسلم ح جعلوا ن يأ بما أو بأحد ا ديته مئة من الإبل، ولكن ا كان معهما فظهما بعنايته ويرعا ا برعايته ح إن قريشاً ليقفون على باب الغار فلا يرونما. قال، أبو بكر رضي ا عنه قلت للن صلى ا عليه وسلم و ن الغار لو أن أحدهم نظر إ قدميه لأبصرنا. فقال: "لا زن إن ا معنا، ما ظنك يا أبا بكر باثن ا ثالثهما"[1]. ح إذا سكن الطلب عنهما قليلاً خرجا من

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب: مناقب المهاجرين وفضلهم. ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل أبي بكر الصديق – رضي الله عنه -.

وا جرة: الانتقال من بلد الشرك إ بلد الإسلام[1] . . . .

الغار بعد ثلاث ليال متجه إ ا دينة على طريق الساحل.

و ا ع أهل ا دينة من ا هاجرين والأنصار روج رسول ا صلى ا عليه وسلم إليهم كانوا رجون صباح كل يوم إ ا رة ينتظرون قدوم رسول ا صلى ا عليه وسلم، وصاحبه ح يطردهم حر الشمس، فلما كان اليوم الذي قدم فيه رسول ا صلى ا عليه وسلم وتعا النهار واشتد ا ر رجعوا إ بيوتم وإذا رجل من اليهود على أطم من آطام ا دينة ينظر اجة له فأبصر رسول ا صلى ا عليه وسلم وأصحابه مقبلا يزول بم السراب فلم لك أن نادى بأعلى صوته يا معشر العرب هذا جدكم يع هذا حظكم وعزكم الذي تنتظرون فهب ا سلمون للقاء رسول ا صلى ا عليه وسلم معهم السلاح تعظيماً وإجلالاً لرسول ا صلى ا عليه وسلم وإيذاناً باستعدادهم للجهاد والدفاع دونه رضي ا عنهم فتلقوه صلى ا عليه وسلم بظاهر ا رة فعدل بم ذات اليم ونزل ب عمرو بن عوف قباء، وأقام فيهم بضع ليال وأسس ا سجد، ار ل إ ا دينة والناس معه وآخرون يتلقونه الطرقات قال أبو بكر رضي ا عنه خرج الناس ح قدمنا ا دينة الطرق وعلى البيوت والغلمان وا دم يقولون ا أك جاء رسول ا ، ا أك جاء مد.

(١) ا جرة اللغة: "مأخوذة من ا جر وهو الترك".

وأما الشرع فهي كما قال الشيخ: "الانتقال من بلد الشرك إ بلد الإسلام". وبلد الشرك هو الذي تقام فيها شعائر الكفر ولا تقام فيه شعائر الإسلام كالأذان والصلاة اعة، والأعياد، وا معة على وجه

وا جرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إ بلد الإسلام[١]، وهي باقية إ أن تقوم الساعة. والدليل قوله تعا : إِن الذِينَ تَوَفهُمُ الَملِئكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنا مُسْتَضْعَفِ َ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنمُ وَسَاءَتْ مَصِ اً * إِلا الْمُسْتَضْعَفِ َ مِنَ الرجَالِ وَالنسَاءِ وَالْوِلْدَنِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً * فَأُولَئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللهُ عَفُوّاً غَفُوراً (النساء:٩٧ - ٩٩)

عام شامل، وإ ا قلنا على وجه عام شامل ليخرج ما تقام فيه هذه الشعائر على وجه صور كبلاد الكفار ال فيها أقليات مسلمة فإنها لا تكون بلاد إسلام ا تقيمه الأقليات ا سلمة فيها من شعائر الإسلام، أما بلاد الإسلام فهي البلاد ال تقام فيها هذه الشعائر على وجه عام شامل.

(١) فهي واجبة على كل مؤمن لا يستطيع إظهار دينه بلد الكفر فلا يتم إسلامه إذا كان لا يستطيع إظهاره إلا با جرة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

(٢) هذه الآية دليل على أن هؤلاء الذين يهاجروا مع قدرتم على ا جرة أن ا لائكة تتوفاهم وتو هم وتقول م أ تكن أرض ا واسعة فتهاجروا فيها، أما العاجزون عن ا جرة من ا ستضعف فقد عفا ا عنهم لعجزهم عن ا جرة ولا يكلف ا نفساً إلا وسعها.

وقوله تعا : يَعِبَادِيَ الذِينَ ءامَنُوا إِن أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَ فَاعْبُدُون (العنكبوت:٥٦)

قال البغوي – ر ه ا تعا -: سبب نزول هذه الآية ا سلم الذين كة يهاجروا؛ ناداهم ا باسم الإ ان[١]. والدليل على ا جرة من السنة قوله صلى ا عليه وسلم[١]: "لا تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة ح تطلع الشمس من مغربا"[٢] .

(١) الظاهر أن الشيخ ر ه ا نقل هذا عن البغوي عناه، هذا إن كان نقله من التفس إذ ليس ا ذكور التفس البغوي ذه الآية بذا اللفظ.

(٢) وذلك ح انتهاء العمل الصا ا قبول قال ا تعا : يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِ ـانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِ ـانِهَا خَيْراً (الأنعام:الآية١٥٨) وا راد ببعض الآيات هنا طلوع الشمس من مغربا.

(تتمة) نذكر هنا حكم السفر إ بلاد الكفر.

فنقول : السفر إ بلاد الكفار لا وز إلا بثلاثة شروط:

الشرط الأول: أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات.

الشرط الثا : أن يكون عنده دين نعه من الشهوات.

---

[١] أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب: في الهجرة هل انقطعت. وأحمد جـ ١ صـ ١٩٢. والدارمي، كتاب السير، باب: أن الهجرة لا تنقطع، والهيثمي في "مجمع الزوائد" جـ ٥ صـ ٢٥٠، وقال: "روى أبو داود والنسائي بعض حديث معاوية – ورواه أحمد والطبراني في الأوسط والصغير من غير حديث ابن السعدي – ورجال أحمد ثقات –".

. . . .

الشرط الثالث: أن يكون تاجاً إ ذلك.

فإن تتم هذه الشروط فإنه لا وز السفر إ بلاد الكفار ا ذلك من الفتنة أو خوف الفتنة وفيه إضاعة ا ال لأن الإنسان ينفق أموالاً كث ة هذه الأسفار.

أما إذا دعت ا اجة إ ذلك لعلاج أو تلقي علم لا يوجد بلده وكان عنده علم ودين على ما وصفنا فهذا لا بأس به.

وأما السفر للسياحة بلاد الكفار فهذا ليس اجة وبإمكانه أن يذهب إ بلاد إسلامية افظ أهلها على شعائر الإسلام، وبلادنا الآن وا مد أصبحت بلاداً سياحية بعض ا ناطق فبإمكانه أن يذهب إليها ويقضي زمن إجازته فيها.

وأما الإقامة بلاد الكفار فإن خطرها عظيم على دين الإسلام، وأخلاقه، وسلوكه، وآدابه وقد شاهدنا وغ نا ا راف كث ن أقاموا هناك فرجعوا بغ ما ذهبوا به، رجعوا فساقاً، وبعضهم رجع مرتداً عن دينه وكافراً به وبسائر الأديان – والعياذ با – ح صاروا إ ا حود ا طلق والاستهزاء بالدين وأهله السابقة منهم واللاحقة، و ذا كان ينبغي بل يتع التحفظ من ذلك ووضع الشروط ال نع من ا وى تلك ا هالك.

فالإقامة بلاد الكفر لا بد فيها من شرط أساس :

الشرط الأول: أمن ا قيم على دينه يث يكون عنده من العلم والإ ان،

. . . .

وقوة العز ة ما يطمئنه على الثبات على دينه وا ذر من الا راف والزيغ، وأن يكون مضمراً لعداوة الكافرين وبغضهم مبتعداً عن موالاتم، و بتهم، فإن موالاتم و بتهم، ا ينا الإ ان با قال تعا : لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادونَ مَنْ حَادَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَنَهُمْ أَوْ عَشِ تَهُمْ (ا ادلة:الآية٢٢) وقال تعا : يَأَيهَا الذِينَ ءامَنُوا لا تَتخِذُوا الْيَهُودَ وَالنصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلهُمْ مِنْكُمْ فَإِنهُ مِنْهُمْ إِن اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظلِمِ * فَتَرَى الذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَروا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِمِ (ا ائدة:٥١ - ٥٢) وثبت الصحيح عن النـ صلى ا عليه وسلم: "أن من أحب قوماً فهو منهم، وأن ا رء مع من أحب"[(١)] و بة أعداء ا من أعظم ما يكون خطراً على ا سلم لأن بتهم تستلزم موافقتهم واتباعهم، أو على الأقل عدم الإنكار عليهم ولذلك قال النـ صلى ا عليه وسلم: "من أحب قوماً فهو منهم".

الشرط الثا : أن يتمكن من إظهار دينه يث يقوم بشعائر الإسلام بدون انع، فلا نع من إقامة الصلاة وا معة وا ماعات إن كان معه من يصلي اعة ومن يقيم ا معة، ولا نع من الزكاة والصيام وا ج وغ ها من شعائر الدين، فإن كان لا يتمكن من ذلك ز الإقامة

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب: علامة حب الله عز وجل. ومسلم، كتاب الصلة، باب: المرء مع من أحب.

. . . .

لوجوب ا جرة حينئذ، قال ا غ ص ٤٥٧ جـ ٨ الكلام على أقسام الناس ا جرة: أحدها من ب عليه وهو من يقدر عليها ولا كنه إظهار دينه، ولا كنه من إقامة واجبات دينه مع ا قام ب الكفار فهذا ب عليه ا جرة لقوله تعا : إِن الذِينَ تَوَفهُمُ الْمَلِئكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنا مُسْتَضْعَفِ َ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنمُ وَسَاءَتْ مَصِ اً (النساء:٩٧). وهذا وعيد شديد يدل على الوجوب، ولأن القيام بواجب دينه واجب على من قدر عليه، وا جرة من ضرورة الواجب وتتمته، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. اهـ.

وبعد ام هذين الشرط الأساسي تنقسم الإقامة دار الكفر إ أقسام:

القسم الأول: أن يقيم للدعوة إ الإسلام والترغيب فيه فهذا نوع من ا هاد فهي فرض كفاية على من قدر عليها، بشرط أن تتحقق الدعوة وأن لا يوجد من نع منها أو من الاستجابة إليها، لأن الدعوة إ الإسلام من واجبات الدين وهي طريقة ا رسل وقد أمر الن صلى ا عليه وسلم بالتبليغ عنه كل زمان ومكان فقال صلى ا عليه وسلم: "بلغوا ء ولو آية"[1].

القسم الثا : أن يقيم لدراسة أحوال الكافرين والتعرف على ما هم عليه من فساد العقيدة، وبطلان التعبد، وا لال الأخلاق، وفوضوية

---

[1] رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل.

. . . .

السلوك؛ ليحذر الناس من الاغترار بم، ويب للمعجب بم حقيقة حا م، وهذه الإقامة نوع من ا هاد أيضاً ا يترتب عليها من التحذير من الكفر وأهله ا تضمن للترغيب الإسلام وهديه، لأن فساد الكفر دليل على صلاح الإسلام، كما قيل: وبضدها تتب الأشياء. لكن لا بد من شرط أن يتحقق مراده بدون مفسدة أعظم منه، فإن يتحقق مراده بأن منع من نشر ما هم عليه والتحذير منه فلا فائدة من إقامته، وإن قق مراده مع مفسدة أعظم مثل أن يقابلوا فعله بسب الإسلام ورسول الإسلام وأئمة الإسلام وجب الكف لقوله تعا : وَلا تَسُبوا الذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَينا لِكُل أُمةٍ عَمَلَهُمْ ثُم إِلَى رَبهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (الأنعام:١٠٨).

ويشبه هذا أن يقيم بلاد الكفر ليكون عيناً للمسلم ؛ ليعرف ما يدبروه للمسلم من ا كايد فيحذرهم ا سلمون، كما أرسل الن صلى ا عليه وسلم حذيفة بن اليمان إ ا شرك غزوة ا ندق ليعرف خ هم[١].

القسم الثالث: أن يقيم اجة الدولة ا سلمة وتنظيم علاقاتا مع دول الكفر كموظفي السفارات فحكمها حكم ما أقام من أجله. فا لحق الثقا مثلاً يقيم ل ى شؤون الطلبة ويراقبهم و ملهم على التزام دين الإسلام وأخلاقه وآدابه، فيحصل بإقامته مصلحة كب ة ويندرئ با شر كب .

القسم الرابع: أن يقيم اجة خاصة مباحة كالتجارة والعلاج فتباح الإقامة بقدر ا اجة، وقد نص أهل العلم ر هم ا على جواز دخول

---

[١] صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب: غزوة الأحزاب.

. . . .

بلاد الكفر للتجارة وأثروا ذلك عن بعض الصحابة رضي ا عنهم.

القسم ا امس: أن يقيم للدراسة وهي من جنس ما قبلها إقامة اجة لكنها أخطر منها وأشد فتكاً بدين ا قيم وأخلاقه، فإن الطالب يشعر بدنو مرتبته وعلو مرتبة معلميه، فيحصل من ذلك تعظيمهم والاقتناع بآرائهم وأفكارهم وسلوكهم فيقلدهم إلا من شاء ا عصمته وهم قليل، إن الطالب يشعر اجته إ معلمه فيؤدي ذلك إ التودد إليه ومداهنته فيما هو عليه من الا راف والضلال. والطالب مقر تعلمه له زملاء يتخذ منهم أصدقاء بهم ويتولاهم ويكتسب منهم، ومن أجل خطر هذا القسم وجب التحفظ فيه أكثر ا قبله فيشترط فيه بالإضافة إ الشرط الأساسي شروط:

الشرط الأول: أن يكون الطالب على مستوى كب من النضوج العقلي الذي يز به ب النافع والضار وينظر به إ ا ستقبل البعيد فأما بعث الأحداث "صغار السن" وذوي العقول الصغ ة فهو خطر عظيم على دينهم، وخلقهم، وسلوكهم، هو خطر على أمتهم ال س جعون إليها وينفثون فيها من السموم ال نلوها من أولئك الكفار كما شهد ويشهد به الواقع، فإن كث اً من أولئك ا بعوث رجعوا بغ ما ذهبوا به، رجعوا منحرف دياناتم، وأخلاقهم، وسلوكهم، وحصل عليهم وعلى تمعهم من الضرر هذه الأمور ما هو معلوم مشاهد، وما مثل بعث هؤلاء إلا كمثل تقد النعاج للكلاب الضارية.

الشرط الثا : أن يكون عند الطالب من علم الشريعة ما يتمكن به من التمييز بـ ا ق والباطل، ومقارعة الباطل با ق لئلا ينخدع ا هم عليه من الباطل فيظنه حقاً أو يلتبس عليه أو يعجز عن دفعه فيبقى حـ ان أو يتبع الباطل. و الدعاء ا أثور "اللهم أر ا ق حقاً وارزقـ اتباعه، وأر الباطل باطلاً وارزقـ اجتنابه، ولا عله ملتبساً علي فأضل".

الشرط الثالث: أن يكون عند الطالب دين مـيه ويتحصن به من الكفر والفسوق، فضعيف الدين لا يسلم مع الإقامة هناك إلا أن يشاء ا وذلك لقوة ا هاجم وضعف ا قاوم، فأسباب الكفر والفسوق هناك قوية وكثـ ة متنوعة فإذا صادفت لاً ضعيف ا قاومة عملت عملها.

الشرط الرابع: أن تدعو ا اجة إ العلم الذي أقام من أجله بأن يكون تعلمه مصلحة للمسلم ولا يوجد له نظ ا دارس بلادهم، فإن كان من فضول العلم الذي لا مصلحة فيه للمسلم أو كان البلاد الإسلامية من ا دارس نظ ه ز أن يقيم بلاد الكفر من أجله ا الإقامة من ا طر على الدين والأخلاق، وإضاعة الأموال الكثـ ة بدون فائدة.

القسم السادس: أن يقيم للسكن وهذا أخطر ا قبله وأعظم ا يترتب عليه من ا فاسد بالاختلاط التام بأهل الكفر وشعوره بأنه مواطن ملتزم ا تقتضيه الوطنية من مودة، وموالاة، وتكثـ لسواد الكفار، ويتر أهله.

. . . .

بـ أهل الكفر فيأخذون من أخلاقهم وعاداتم، ور ا قلدوهم العقيدة والتعبد ولذلك جاء ا ديث عن النـ صلى ا عليه وسلم: "من جامع ا شرك وسكن معه فهو مثله"[1]. وهذا ا ديث وإن كان ضعيف السند لكن له وجهة من النظر فإن ا ساكنة تدعو إ ا شاكلة، وعن قيس بن حازم عن جرير بن عبد ا رضي ا عنه أن النـ صلى ا عليه وسلم قال: "أنا بريء من كل مسلم يقيم بـ أظهر ا شرك ، قالوا: يا رسول ا و ؟ قال: لا تراءى نار ا"[2]. رواه أبو داود والترمذي وأكثر الرواة رووه مرسلاً عن قيس بن حازم عن النـ صلى ا عليه وسلم قال الترمذي عت مداً – يعـ البخاري – يقول الصحيح حديث قيس عن النـ صلى ا عليه وسلم، مرسل.اهـ. وكيف تطيب نفس مؤمن أن يسكن بلاد كفار تعلن فيها شعائر الكفر ويكون ا كم فيها لغـ ا ورسوله وهو يشاهد ذلك بعينه ويسمعه بأذنيه ويرضى به، بل ينتسب إ تلك البلاد ويسكن فيها بأهله وأولاده ويطمئن إليها كما يطمئن إ بلاد ا سلم مع ما ذلك من ا طر العظيم عليه وعلى أهله وأولاده دينهم وأخلاقهم.

هذا ما توصلنا إليه حكم الإقامة بلاد الكفر نسأل ا أن يكون موافقاً للحق والصواب.

* * * *

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب: الإقامة بأرض المشركين.
(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب: النهي عن قتل من اعتصم بالسجود. والترمذي، كتاب السير، باب: ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين.

فلما استقر با دينة أمر ببقية شرائع الإسلام مثل: الزكاة، والصوم، وا ج، وا هاد والآذان، والأمر با عروف والنهي عن ا نكر وغ ذلك من شرائع الإسلام[١]

---

(١) يقول ا ؤلف ر ه ا تعا : ا استقر – أي الن صلى ا عليه وسلم – ا دينة النبوية أمر ببقية شرائع الإسلام وذلك أنه مكة دعا إ التوحيد و عشر سن ، بعد ذلك فرضت عليه الصلوات ا مس مكة، هاجر إ ا دينة و تفرض عليه الزكاة ولا الصيام ولا ا ج ولا غ ها من شعائر الإسلام وظاهر كلام ا ؤلف ر ه ا أن الزكاة فرضت أصلاً وتفصيلاً ا دينة، وذهب بعض أهل العلم إ أن الزكاة فرضت أولاً مكة لكنها تقدر أنصابا و يقدر الواجب فيها؛ و ا دينة قدرت الأنصباء وقدر الواجب واستدل هؤلاء بأنه جاءت آيات توجب الزكاة سورة مكية مثل قوله تعا سورة الأنعام: وَآتوا حَقهُ يَوْمَ حَصَادِهِ (الأنعام:الآية١٤١) ومثل قوله تعا : وَالذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَق مَعْلُومٌ * لِلسائِلِ وَالْمَحْرُومِ (ا عارج:٢٤- ٢٥). وعلى كل حال فاستقرار الزكاة وتقدير أنصابا وما ب فيها وبيان مستحقيها كان ا دينة، وكذلك الأذان وا معة، والظاهر أن ا ماعة كذلك تفرض إلا ا دينة؛ لأن الأذان الذي فيه الدعوة للجماعة فرض السنة الثانية، فأما الزكاة والصيام فقد فرضا السنة الثانية من ا جرة، وأما ا ج فلم يفرض إلا السنة التاسعة على القول الراجح من أقوال أهل العلم وذلك ح كانت مكة بلد إسلام بعد فتحها السنة الثامنة من ا جرة، وكذلك الأمر با عروف والنهي عن

أخذ على هذا عشر سن وبعدها تو صلوات ا وسلامه عليه[١]

ا نكر وغ ا من الشعائر الظاهرة كلها فرضت ا دينة بعد استقرار الن صلى ا عليه وسلم فيها وإقامة الدولة الإسلامية فيها.

(١) أخذ أي الن صلى ا عليه وسلم عشر سن بعد هجرته فلما أكمل ا به الدين وأ به النعمة على ا ؤمن اختاره ا واره واللحاق بالرفيق الأعلى من النبي والصديق والشهداء والصا ، فابتدأ به ا رض صلوات ا وسلامه عليه آخر شهر صفر وأول شهر ربيع الأول، فخرج إ الناس عاصباً رأسه فصعد ا ن فتشهد وكان أول ما تكلم به بعد ذلك أن استغفر للشهداء الذين قتلوا أحد قال: "إن عبداً من عباد ا خ ه ا ب الدنيا وب ما عنده فاختار ما عند ا " ففهمها أبو بكر رضي ا عنه فبكى وقال: بأ وأمي نفديك بآبائنا وأمهاتنا، وأبنائنا، وأنفسنا، وأموالنا فقال الن صلى ا عليه وسلم: "على رسلك يا أبا بكر" قال: "إن أمنّ الناس علي صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذاً خليلاً غ ر لا ذت أبا بكر ولكن خلة الإسلام ومودته"[١] وأمر أبا بكر أن يصلي بالناس و ا كان يوم الاثن الثا عشر أو الثالث عشر من شهر ربيع الأول من السنة ا ادية عشر من ا جرة اختاره ا واره فلما نزل به جعل يدخل يده ماء عنده و سح وجهه ويقول: "لا إله إلا ا إن للموت سكرات" شخص بصره و السماء وقال: "اللهم الرفيق الأعلى"[٢]. فتو ذلك اليوم فاضطرب الناس لذلك وحق م أن يضطربوا، ح جاء أبو بكر رضي ا عنه فصعد ا ن فحمد ا

---

[١] أخرجه البخاري، كتاب المساجد، باب: الخوخة والممر في المسجد.
[٢] أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب: مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته.

ودينه باق، وهذا دينه، لا خ إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرها منه، وا الذي دل عليه: التوحيد، و يع ما به ا ويرضاه، والشر الذي حذر منه: الشرك و يع ما يكرهه ا ويأباه. بعثه ا إ الناس كافة[1]، وافترض ا طاعته على يع الثقا : ا ن والإنس، والدليل قوله تعا : قُلْ يَأيهَا الناسُ إِني رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً [2] (سورة الأعراف، الآية: ١٥٨).

وأث عليه قال: أما بعد فإن من كان يعبد مداً فإن مداً قد مات ومن كان يعبد ا فإن ا حي لا وت قرأ: وَمَا مُحَمدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ (آل عمران: من الآية١٤٤)، إِنكَ مَيتٌ وَإِنهُمْ مَيتُونَ (الزمر:٣٠) فاشتد بكاء الناس وعرفوا أنه قد مات فغسل صلوات ا وسلامه عليه ثيابه تكر اً له، كفن بثلاث أثواب أي لفائف بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة، وصلى الناس عليه إرسالاً بدون إمام، دفن ليلة الأربعاء بعد أن ت مبايعة ا ليفة من بعده فعليه من ربه أفضل الصلاة وا التسلم.

(١) بعثه ا أي أرسله إ الناس كافة أي يعاً.

(٢) هذه الآية دليل على أن مداً رسول ا صلى ا عليه وسلم إ الناس يعاً وأن ا الذي أرسله له ملك السموات والأرض، ومن بيده الإحياء والإماتة، وأنه سبحانه هو ا توحد بالألوهية كما هو متوحد الربوبية، أمر سبحانه وتعا آخر الآية أن نؤمن بذا الرسول الن الأمي وأن نتبعه وأن ذلك سبب للهداية العلمية والعملية، هداية الإرشاد، وهداية

وأكمل ا به الدين، والدليل قوله تعا : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِيناً﴾ (١) (سورة ا ائدة، الآية:٥).

التوفيق فهو عليه الصلاة والسلام رسول إ يع الثقل وهم الإنس وا ن و وا بذلك لكثرة عددهم.

(١) أي أن دينه عليه الصلاة والسلام باق إ يوم القيامة فما تو رسول ا صلى ا عليه وسلم إلا وقد ب للأمة يع ما تاجه يع شئونا ح قال أبو ذر رضي ا عنه: "ما ترك الن صلى ا عليه وسلم طائراً يقلب جناحية السماء إلا ذكر لنا منه علماً"[1] وقال رجل من ا شرك لسلمان الفارسي رضي ا عنه علمكم نبيكم ح ا راة – آداب قضاء ا اجة – قال: "نعم لقد نانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول أو نستنجى بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي باليم ، أو أن نستنجي برجيع أو عظم"[2] فالن صلى ا عليه وسلم بيّن كل الدين إما بقوله، وإما بفعله، وإما بإقراره ابتداء أو جواباً عن سؤال، وأعظم ما بيّن عليه الصلاة والسلام التوحيد .

وب كل ما أمر به فهو خ للأمة معادها ومعاشها، وكل ما نى عنه فهو شر للأمة معاشها ومعادها، وما هله بعض الناس ويدعيه من ضيق الأمر والنهي فإ ا ذلك لل البص ة وقلة الص وضعف الدين، وإلا فإن القاعدة العامة أن ا ما عل علينا الدين من حرج وأن الدين كله يسر وسهولة قال ا تعا : ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: من الآية١٨٥)، وقال تعا : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدينِ مِنْ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ١٦٣/٥.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب: الاستطابة.

والدليل على موته صلى ا عليه وسلم قوله تعا : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ (الزمر:٣٠-٣١) والناس إذا ماتوا يبعثون[٢]، والدليل قوله تعا : ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ[٣] وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ[٤] وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾[٥] (سورة طه،الآية:٥٥)، وقوله

حَرَجٍ (ا ج: من الآية٧٨) وقال تعا : ﴿مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ (ا ائدة: من الآية٦) فا مد على ام نعمته وإكمال دينه.

(١) ففي هذه الآية أن النـ صلى ا عليه وسلم ومن أرسل إليهم ميتون وأنهم سيختصمون عند ا يوم القيامة فيحكم بينهم با ق ولن عل ا لكافرين على ا ؤمنـ سبيلاً.

(٢) بيّن ر ه تعا هذه ا ملة أن الناس إذا ماتوا يبعثون، يبعثهم ا عز وجل أحياء بعد موتم للجزاء، وهذا هو النتيجة من إرسال الرسل أن يعمل الإنسان ذا اليوم يوم البعث والنشور، اليوم الذي ذكر ا سبحانه وتعا من أحواله وأهواله ما عل القلب ينيب إ ا عز وجل و شى هذا اليوم قال ا تعا : ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً * السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً﴾ (ا زمل:١٧ - ١٨).

و هذه ا ملة إشارة إ الإ ان بالبعث واستدل الشيخ له بآيتـ .

(٣) أي من الأرض خلقناكم حـ خلق آدم عليه الصلاة والسلام من تراب.

(٤) أي بالدفن بعد ا وت.

(٥) أي بالبعث يوم القيامة.

تعا : وَاللَّهُ أَنبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً* ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً [١] (نوح:١٧ - ١٨)

وبعد البعث اسبون و زيون بأعما م، والدليل قوله تعا : لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى [٢] (سورة النجم،الآية:٣١)؛ .

. ...

---

(١) هذه الآية موافقة اماً لقوله تعا : مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى والآيات هذا ا ع كث ة جداً وقد أبدى ا عز وجل وأعاد إثبات ا عاد ح يؤمن الناس بذلك ويزدادوا إ اناً ويعملوا ذا اليوم العظيم الذي نسأل ا سبحانه وتعا أن علنا من العامل له ومن السعداء فيه.

(٢) يع أن الناس بعد البعث ازون و اسبون على أعما م إن خ اً فخ وإن شراً فشر قال ا تبارك وتعا : فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ (الزلزلة:٧ - ٨) وقال تعا : وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (الأنبياء:٤٧)، وقال جل وعلا: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (الأنعام:١٦٠). فا سنة بعشر أمثا ا إ سبعمائة ضعف إ أضعاف كث ة فضلاً من ا عز وجل وامتناناً منه سبحانه وتعا ، فهو جلّ وعلا قد تفضل بالعمل الصا ، تفضل مرة أخرى با زاء عليه هذا ا زاء الواسع الكث ، أما

ومن كذب بالبعث كفر، والدليل قوله تعا : زَعَمَ الذِينَ كَفَرُوا أنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبي لَتُبْعَثُن ثم لَتُنبؤُن بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ [١] (سورة التغابن ، الآية: ٧)، . . . .

العمل السيئ فإن السيئة ثلها لا ازى الإنسان بأكثر منها قال تعا : مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسيئَةِ فَلا يُجْزَى إلا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (الأنعام:١٦٠) وهذا من كمال فضل ا وإحسانه.

استدل الشيخ لذلك بقوله تعا : لِيَجْزِيَ الذِينَ أسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا (النجم: من الآية٣١) و يقل بالسوآي كما قال: وَيَجْزِيَ الذِينَ أحْسَنُوا بِالْحُسْنَى .

(١) من كذب بالبعث فهو كافر لقوله تعا : وَقَالُوا إنْ هِيَ إلا حَيَاتُنَا الدنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ * وَلَوْ تَرَى إذْ وُقِفُوا عَلَى رَبهِمْ قَالَ ألَيْسَ هَذَا بِالْحَق قَالُوا بَلَى وَرَبنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (الأنعام:٣٠)، وقال تعا : وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذبِينَ * الذِينَ يُكَذبُونَ بِيَوْمِ الدينِ * وَمَا يُكَذبُ بِهِ إلا كُل مُعْتَدٍ أثِيمٍ * إذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أسَاطِيرُ الْأولِينَ * كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلا إنهُمْ عَنْ رَبهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ * ثُم إنهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ * ثُم يُقَالُ هَذَا الذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذبُونَ (ا طفف :١٠ - ١٧)، وقال تعا : بَلْ كَذبُوا بِالساعَةِ وَأعْتَدْنَا لِمَنْ كَذبَ بِالساعَةِ سَعِيراً (الفرقان:١١) وقال تعا : وَالذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللهِ وَلِقَائِهِ أولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ ألِيمٌ (العنكبوت:٢٣) واستدل الشيخ ر ه ا تعا بقوله تعا : **زَعَمَ الذِينَ كَفَرُوا** الآية.

وأما إقناع هؤلاء ا نكرين فبما يأ :

. . . .

أولاً: أن أمر البعث تواتر به النقل عن الأنبياء وا رسلـ الكتب الإ ية، والشرائع السماوية، وتلقته أ هم بالقبول، فيكف تنكرونه وأنتم تصدقون ا ينقل إليكم عن فيلسوف أو صاحب مبدأ أو فكرة، وإن يبلغ ما بلغه ا عن البعث لا وسيلة النقل ولا شهادة الواقع؟

ثانياً: أن أمر البعث قد شهد العقل بإمكانه، وذلك عن وجوه:

١- كل أحد لا ينكر أن يكون لموقاً بعد العدم، وأنه حادث بعد أن يكن، فالذي خلقه وأحدثه بعد أن يكن قادر على إعادته بالأو ، كما قال ا تعا : وَهُوَ الذِي يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُم يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ (الروم: الآية٢٧) وقال تعا : كَمَا بَدَأْنَا أول خَلْقٍ نُعِيدُه وَعْداً عَلَيْنا إنا كُنا فَاعِلِ (الأنبياء: من الآية١٠٤)

٢- كل أحد لا ينكر عظمة خلق السموات والأرض لكـ ا وبديع صنعتهما، فالذي خلقهما قادر على خلق الناس وإعادتم بالأو ؛ قال ا تعا : لَخَلْقُ السمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ الناسِ (غافر: الآية٥٧) وقال تعا : أَوَلَمْ يَرَوْا أن اللهَ الذِي خَلَقَ السمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهن بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنهُ عَلَى كُل شَيْءٍ قَدِيرٌ (الأحقاف:٣٣)، وقال تعا : أَوَلَيْسَ الذِي خَلَقَ السمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ * إِنمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (يّـس: ٨١- ٨٢)

٣- كل ذي بصر يشاهد الأرض دبة ميتة النبات، فإذا نزل ا طر

. . . .

عليها أخصبت وحيي نباتا بعد ا وت، والقادر على إحياء الأرض بعد موتا قادر على إحياء ا وتى وبعثهم، قال ا تعا : وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (فصلت:٣٩)

ثالثاً: أن أمر البعث قد شهد ا س والواقع بإمكانه فيما أخ نا ا تعا به من وقائع إحياء ا وتى، وقد ذكر ا تعا من ذلك سورة البقرة س حوادث منها، قوله: أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (البقرة:٢٥٩)

رابعاً: أن ا كمة تقتضي البعث بعد ا وت لتجازى كل نفس ا كسبت، ولولا ذلك لكان خلق الناس عبثاً لا قيمة له، ولا حكمة منه، و يكن ب الإنسان وب البهائم فرق هذه ا ياة. قال ا تعا : أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ* فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (ا ؤمنون:١١٥- ١١٦)، وقال ا تعا : إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (طـه:١٥)، وقال تعا : وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ

وأرسل ا يع الرسل مبشرين ومنذرين والدليل قوله تعا : رُسُلاً مُبَشِرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلناس عَلَى اللهِ حُجةٌ بَعْدَ الرسُل (١) (سورة النساء، الآية: ١٦٥)، . . . .

بَلَى وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَلَكِن أَكْثَرَ الناسِ لا يَعْلَمُونَ * لِيُبَينَ لَهُمُ الذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الذِينَ كَفَرُوا أَنهُمْ كَانُوا كَاذِبِ * إِنمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (النحل:٣٨-٤٠) وقال تعا : زَعَمَ الذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبي لَتُبْعَثُن ثُم لَتُنَبؤُن بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِ (التغابن:٧).

فإذا بينت هذه ال اه نكري البعث وأصروا على إنكارهم، فهم مكابرون معاندون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

(١) ب ا ؤلف ر ه ا تعا أن ا أرسل يع الرسل مبشرين ومنذرين كما قال تعا : **رُسُلاً مُبَشرِينَ وَمُنْذِرِينَ** يبشرون من أطاعهم با نة وينذرون من خالفهم بالنار.

وإرسال الرسل له حكم عظيمة من أ ها بل هو أ ها أن تقوم ا جة على الناس ح لا يكون م على ا حجة بعد إرسال الرسل كما قال تعا : لِئَلا يَكُونَ لِلناسِ عَلَى اللهِ حُجةٌ بَعْدَ الرسُلِ .

ومنها أنه من ام نعمة ا على عباده فإن العقل البشري مهما كان لا كنه أن يدرك تفاصيل ما ب تعا من ا قوق ا اصة به، ولا كنه أن يطلع على ما تعا من الصفات الكاملة، ولا كن أن يطلع على ماله من الأ اء ا سا و ذا أرسل ا الرسل عليهم الصلاة والسلام

وأو م نوح عليه السلام، وآخرهم مد صلى ا عليه وسلم والدليل على أن أو م نوح عليه السلام قوله تعا : ﴿إِنا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾(١) (النساء: من الآية١٦٣).

مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب با ق ليحكم ب الناس فيما اختلفوا فيه.

وأعظم ما دعا إليه الرسل من أو م نوح عليه الصلاة والسلام إ آخرهم مد صلى ا عليه وسلم التوحيد كما قال ا تعا : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُل أُمةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطاغُوتَ﴾ (النحل: من الآية٣٦) وقال عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء:٢٥).

(١) ب شيخ الإسلام مد بن عبد الوهاب ر ه ا أن أول الرسل نوح عليه الصلاة والسلام واستدل لذلك بقوله تعا : ﴿إِنا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ (سورة النساء، الآية: ١٦٣) وثبت الصحيح من حديث الشفاعة: "إن الناس يأتون إ نوح فيقولون له أنت أول رسول أرسله ا إ أهل الأرض"(١) فلا رسول قبل نوح وبذا نعلم خطأ ا ؤرخ الذين قالوا إن إدريس عليه الصلاة والسلام قبل نوح بل الذي يظهر أن إدريس من أنبياء ب إسرائيل.

وآخر الأنبياء وخا هم مد صلى ا عليه وسلم لقوله تعا : ﴿مَا كَانَ مُحَمدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ

---

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب: كلام الله مع الأنبياء يوم القيامة. ومسلم، كتاب الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة.

وكل أمة بعث ا إليها رسولاً[1] من نوح إ مد؛ يأمرهم بعبادة ا وحده، وينهاهم عن عبادة الطاغوت، والدليل قوله تعا : وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُل أُمةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطاغُوتَ [2] (النحل:الآية٣٦).

وافترض ا على يع العباد الكفر بالطاغوت والإ ان با . قال ابن القيم – ر ه ا تعا -الطاغوت: ما اوز به العبد حده من معبود أو متبوع، أو مطاع[3]؛ . . . .

رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النبِيِّ وَكَانَ اللهُ بِكُل شَيْءٍ عَلِيماً (الأحزاب:٤٠) فلا ن بعده ومن ادعى النبوة بعده فهو كاذب كافر مرتد عن الإسلام.

(١) أي أن ا بعث كل أمة رسولاً يدعوهم إ عبادة ا وحده وينهاهم عن الشرك ودليل ذلك قول ا تعا : وَإِنْ مِنْ أُمةٍ إِلا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ (فاطر: الآية٢٤) وقال: وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُل أُمةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطاغُوتَ (النحل: من الآية٣٦).

(٢) هذا هو مع لا إله إلا ا .

(٣) أراد شيخ الإسلام ر ه ا بذا أن التوحيد لا يتم إلا بعبادة ا وحده لا شريك له واجتناب الطاغوت.

وقد فرض ا ذلك على عباده، والطاغوت مشتق من الطغيان، والطغيان اوزة ا د ومنه قوله تعا : إِنا لَما طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (ا اقة:١١)

يع ا زاد ا اء عن ا د عتاد ا لناكم ا ارية يع السفينة.

. . . .

واصطلاحاً أحسن ما قيل تعريفه ما ذكره ابن القيم – ر ه ا – أنه – أي الطاغوت-: "كل ما اوز به العبد حده من معبود، أو متبوع، أو مطاع". ومراده با عبود وا تبوع وا طاع غ الصا ، أما الصا ون فليسوا طواغيت وإن عبدوا – أو اتبعوا – أو أطيعوا فالأصنام ال تعبد من دون ا طواغيت، وعلماء السوء الذين يدعون إ الضلال والكفر، أو يدعون إ البدع، أو إ لميل ما حرم ا ، أو ر ما أحل ا طواغيت، والذين يزينون لولاة الأمر ا روج عن شريعة الإسلام بنظم يستوردونا الفة لنظام الدين الإسلامي طواغيت، لأن هؤلاء اوزوا حدهم، فإن حد العا أن يكون متبعاً ا جاء به الن صلى ا عليه وسلم لأن العلماء حقيقة ورثة الأنبياء، يرثونم أمتهم علماً وعملاً، وأخلاقاً، ودعوة وتعليماً، فإذا اوزوا هذا ا د وصاروا يزينون للحكام ا روج عن شريعة الإسلام ثل هذه النظم فهم طواغيت؛ لأنم اوزوا ما كان ب عليهم أن يكونوا عليه من متابعة الشريعة.

وأما قوله – ر ه ا – "أو مطاع" ف يد به الأمراء الذين يطاعون شرعاً أو قدراً، فالأمراء يطاعون شرعاً إذا أمروا ا لا الف أمر ا ورسوله و هذه ا ال لا يصدق عليهم أنم طواغيت، والواجب م على الرعية السمع والطاعة، وطاعتهم لولاة الأمر هذا ا ال بذا القيد طاعة -عز وجل – و ذا ينبغي أن نلاحظ ح ننفذ ما أمر به و الأمر ا ب طاعته فيه أننا ذلك نتعبد تعا ونتقرب إليه بطاعته، ح يكون تنفيذنا ذا الأمر قربة إ ا عز وجل وإ ا ينبغي لنا أن نلاحظ ذلك لأن

. . . .

ا تعا يقول: ﴿يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: من الآية٥٩).

وأما طاعة الأمراء قدراً فإن الأمراء إذا كانوا أقوياء سلطتهم فإن الناس يطيعونم بقوة السلطان وإن يكن بوازع الإ ان، لأن طاعة و الأمر تكون بوازع الإ ان وهذه هي الطاعة النافعة، النافعة لولاة الأمر، والنافعة للناس أيضاً، وقد تكون الطاعة بوازع السلطان يث يكون قوياً شى الناس منه ويهابونه لأنه ينكل ن خالف أمره.

و ذا نقول إن الناس مع حكامهم هذه ا سألة م أحوال:

ا ال الأو : أن يقوى الوازع الإ ا والرادع السلطا وهذه أكمل الأحوال وأعلاها.

ا ال الثانية: أن يضعف الوازع الإ ا والرادع السلطا وهذه أد الأحوال وأخطرها على ا تمع، على حكامه و كوميه؛ لأنه إذا ضعف الوازع الإ ا والرادع السلطا حصلت الفوضى الفكرية وا لقية والعملية.

ا ال الثالثة: أن يضعف الوازع الإ ا ويقوى الرادع السلطا وهذه مرتبة وسطى لأنه إذا قوي الرادع السلطا صار أصلح للأمة ا ظهر فإذا اختفت قوة السلطان فلا تسأل عن حال الأمة وسوء عملها.

ا ال الرابعة: أن يقوى الوازع الإ ا ويضعف الرادع السلطا فيكون ا ظهر أد منه ا ال الثالثة لكنه فيما ب الإنسان وربه أكمل وأعلى.

والطواغيت[١] كثـ ة ورؤسهم[٢] سة إبليس[٣] لعنه ا ، ومن عبد وهو راض[٤] ومن دعا الناس إ عبادة نفسه[٥]، ومن ادعى شيئاً من علم الغيب[٦]؛ . . . .

---

(١) ع طاغوت وسبق تفسـ ه.

(٢) أي زعمائهم ومقلدوهم سة.

(٣) إبليس هو الشيطان الرجيم اللع الذي قال ا له: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ (صّ:٧٨). وكان إبليس مع ا لملائكة صحبتهم يعمل بعملهم، و ا أمر بالسجود لآدم ظهر ما فيه من ا بث والإباء والاستكبار فأ واستكـ وكان من الكافرين فطرد من ر ة ا عز وجل قال ا تعا : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة:٣٤).

(٤) أي عبد من دون ا وهو راض أن يعبد من دون ا فإنه من رؤوس الطواغيت – والعياذ با – وسواء عبد حياته أو بعد اته إذا مات وهو راض بذلك.

(٥) أي من دعا الناس إ عبادة نفسه وإن يعبدوه فإنه من رؤوس الطواغيت سواء أجيب ا دعا إليه أم يب.

(٦) الغيب ما غاب عن الإنسان وهو نوعان:

واقع، ومستقبل، فغيب الواقع نسـ يكون لشخص معلوماً ولآخر هولاً، وغيب ا ستقبل حقيقي لا يكون معلوماً لأحد إلا ا وحده أو

ومن حكم بغ ما أنزل ا (١) . . . .

من أطلعه عليه من الرسل فمن أدى علمه فهو كافر لأنه مكذب عز وجل ولرسوله، قال ا تعا : قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلا اللهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيانَ يُبْعَثُونَ (النمل:٦٥)، وإذا كان ا عز وجل يأمر نبيه مداً صلى ا عليه وسلم، أن يعلن للملأ أنه لا يعلم من السموات والأرض الغيب إلا ا ، فإن من ادعى علم الغيب فقد كذب ا عز وجل ورسوله هذا ا .

ونقول ؤلاء كيف كن أن تعلموا الغيب والن صلى ا عليه وسلم لا يعلم الغيب؟ هل أنتم أشرف أم الرسول صلى ا عليه وسلم؟ فإن قالوا: ن أشرف من الرسول كفروا بذا القول هو أشرف فنقول اذا جب عنه الغيب وأنتم تعلمونه؟ وقد قال ا عز وجل عن نفسه: عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً (ا ـ ن:٢٦-٢٧) وهذه آية ثانية تدل على كفر من ادعى علم الغيب، وقد أمر ا تعا نبيه صلى ا عليه وسلم أن يعلن للملأ بقوله: قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ (الأنعام:٥٠).

(١) ا كم ا أنزل ا تعا من توحيد الربوبية؛ لأنه تنفيذ كم ا الذي هو مقتضى ربوبيته، وكمال ملكه وتصرفه، و ذا ى ا تعا ا تبوء غ ما أنزل ا تعا أربابا تبعيهم فقال سبحانه: اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا

. . . .

لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَما يُشْرِكُونَ (التوبة: الآية٣١)، فسمى ا تعا ا تبوء أربابا حيث جعلوا مشرء مع ا تعا ، و ى ا تبع عباداً حيث إنم ذلوا م وأطاعوهم الفة حكم ا سبحانه وتعا .

وقد قال عدي بن حا لرسول ا صلى ا عليه وسلم إنم يعبدوهم فقال الن صلى ا عليه وسلم: "بل إنم حرموا عليهم ا لال، فاتبعوهم فتلك عبادتم إياهم"[1].

إذا فهمت ذلك فاعلم أن من كم ا أنزل ا ، وأراد أن يكون التحاكم إ غ ا ورسوله وردت فيه آيات بنفي الإ ان عنه، وآيات بكفره وظلمه، وفسقه.

فأما القسم الأول:

فمثل قوله تعا : أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً * أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً * وَمَا أَرْسَلْنَا

[1] رواه الترمذي وحسنه، كتاب التفسير، سورة التوبة، ٢٦٢/٥.

. . . .

مِنْ رَسُولٍ إِلا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ وَلَوْ أَنهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَواباً رَحِيماً* فَلا وَرَبكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتى يُحَكمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُم لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِما قَضَيْتَ وَيُسَلمُوا تَسْلِيماً (النساء:٦٠-٦٥).

فوصف ا تعا هؤلاء ا دع للإ ان وهم منافقون بصفات:

الأو : أنم يريدون أن يكون التحاكم إ الطاغوت، وهو كل ما خالف حكم ا تعا ورسوله صلى ا عليه وسلم، لأن ما خالف حكم ا ورسوله فهو طغيان واعتداء على حكم من له ا كم وإليه يرجع الأمر كله وهو ا ، قال ا تعا : أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَب الْعَالَمِ (الأعراف: الآية٥٤).

الثانية: أنم إذا دعوا إ ما أنزل ا وإ الرسول صدوا وأعرضوا.

الثالثة: أنم إذا أصيبوا صيبة ا قدمت أيديهم - ومنها أن يعثر على صنيعهم - جاءوا لفون أنم ما أرادوا إلا الإحسان والتوفيق كحال من يرفض اليوم أحكام الإسلام و كم بالقوان ا خالفة ا زعماً منه أن ذلك هو الإحسان ا وافق لأحوال العصر.

حذر – سبحانه – هؤلاء ا دع للإ ان ا تصف بتلك الصفات بأنه – سبحانه – يعلم ما قلوبم وما يكنونه من أمور الف ما يقولون، وأمر نبيه أن يعظهم ويقول م أنفسهم قولاً بليغاً، ب أن ا كمة من إرسال الرسول أن يكون هو ا طاع ا تبوع لا غ ه من الناس مهما قويت أفكارهم واتسعت مداركهم، أقسم تعا بربوبيته لرسوله ا

. . . .

هي أخص أنواع الربوبية وال تتضمن الإشارة إ صحة رسالته صلى ا عليه وسلم، أقسم با قسماً مؤكداً أنه لا يصح الإ ان إلا بثلاثة أمور:

الأول: أن يكون التحاكم كل نزاع إ رسول ا صلى ا عليه وسلم.

الثا : أن تنشرح الصدور كمه، ولا يكون النفوس حرج وضيق منه.

الثالث: أن صل التسليم بقبول ما حكم به وتنفيذه بدون توان أو ا راف.

وأما القسم الثا :

فمثل قوله تعا : وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (ا ائدة: الآية٤٤)، وقوله: وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظالِمُونَ (ا ائدة: الآية٤٥)، وقوله: وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (ا ائدة: الآية٤٧)، وهل هذه الأوصاف الثلاثة تت ل على موصوف واحد؟ ع أن كل من كم ا أنزل ا فهو كافر ظا فاسق، لأن ا تعا وصف الكافرين بالظلم والفسق فقال تعا : وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظالِمُونَ (البقرة: الآية٢٥٤)، وقال تعا : إِنهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (التوبة: الآية٨٤). فكل كافر ظا فاسق، أو هذه الأوصاف تت ل على موصوف سب ا امل م على عدم ا كم ا أنزل ا ؟ هذا هو الأقرب عندي وا أعلم.

فنقول: كم ا أنزل ا استخفافاً به، أو احتقاراً، أو اعتقاداً أن غ ه أصلح منه، وأنفع للخلق أو مثله فهو كافر كفراً ﺮجاً عن ا لة، ومن هؤلاء من يضعون للناس تشريعات الف التشريعات الإسلامية لتكون منهاجاً يس الناس عليه، فإنم يضعوا تلك التشريعات ا خالفة للشريعة الإسلامية إلا وهم يعتقدون أنا أصلح وأنفع للخلق، إذ من ا علوم بالضرورة العقلية، وا بلة الفطرية أن الإنسان لا يعدل عن منهاج إ منهاج الفه إلا وهو يعتقد فضل ما عدل إليه ونقص ما عدل عنه.

ومن كم ا أنزل ا وهو يستخف به، و تقره، و يعتقد أن غ ه أصلح منه لنفسه أو و ذلك، فهذا ظا وليس بكافر و تلف مراتب ظلمه سب ا كوم به ووسائل ا كم.

ومن كم ا أنزل ا لا استخفافاً كم، ا ، ولا احتقاراً، ولا اعتقاداً أن غ ه أصلح، وأنفع للخلق أو مثله، وإ ا حكم بغ ه اباة للمحكوم له، أو مراعاة لرشوة أو غ ها من عرض الدنيا فهذا فاسق، وليس بكافر و تلف مراتب فسقه سب ا كوم به ووسائل ا كم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - ر ه ا – فيمن ا ذوا أحبارهم ورهبانم أرباباً من دون ا أنم على وجه :

أحد ا: أن يعلموا أنم بدلوا دين ا فيتبعونم على التبديل ويعتقدون ليل ما حرم، و ر ما أحل ا اتباعاً لرؤسائهم مع علمهم أنم خالفوا دين الرسل فهذا كفر، وقد جعله ا ورسوله شركاً.

والدليل(١) **قوله تعا :** لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ(٢) قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ

الثا : أن يكون اعتقادهم وإ ا نم بتحليل ا رام و ر ا لال – كذا العبارة ا نقولة عنه – ثابتاً لكنهم أطاعوهم معصية ا كما يفعل ا سلم ما يفعله من ا عاصي ال يعتقد أنا معاصي فهؤلاء م حكم أمثا م من أهل الذنوب.

وهناك فرق ب ا سائل ال تعت تشريعاً عاماً وا سألة ا عينة ال كم فيها القاضي بغ ما أنزل ا لأن ا سائل ال تعت تشريعاً عاماً لا يتأتى فيها التقسيم السابق، وإ ا هي من القسم الأول فقط لأن هذا ا شرع تشريعاً الف الإسلام إ ا شرعه لاعتقاده أنه أصلح من الإسلام وأنفع للعباد كما سبقت الإشارة إليه.

وهذه ا سألة أع مسألة ا كم بغ ما أنزل ا من ا سائل الك ى ال ابتلي با حكام هذا الزمان فعلى ا رء أن لا يتسرع ا كم عليهم ا لا يستحقونه ح يتب له ا ق لأن ا سألة خط ة – نسأل ا تعا أن يصلح للمسلم ولاة أمورهم وبطانتهم – كما أن على ا رء الذي آتاه ا العلم أن يبينه ؤلاء ا كام لتقوم ا جة عليهم وتتب ا جة فيهلك من هلك عن بينة و من حي عن بينة، ولا قرن نفسه عن بيانه ولا يهابن أحداً فيه فإن العزة ولرسوله وللمؤمن .

(١) أي على وجوب ا كم ا أنزل ا والكفر بالطاغوت.

(٢) لا إكراه على الدين لظهور أدلته وبيا نا ووضوحها و ذا قال بعده: قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فإذا تب الرشد من الغي فإن كل نفس سليمة

فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ[1] فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى[2] (البقرة:٢٥٦)
وهذا مع لا إله إلا ا .

و ا ديث[1] رأس الأمر الإسلام[3] وعموده الصلاة[4] وذروة سنامه ا هاد سبيل ا "[5]؛ ....

لا بد أن تار الرشد على الغي.

(١) بدأ ا عز وجل بالكفر بالطاغوت قبل الإ ان با ؛ لأن من كمال الشيء إزالة ا وانع قبل وجود الثوابت و ذا يقال التخلية قبل التحلية.

(٢) أي سك با سكاً تاماً والعروة الوثقى هي الإسلام وتأمل كيف قال عز وجل: **فَقَدِ اسْتَمْسَكَ** ، و يقل: (سك) لأن الاستمساك أقوى من التمسك فإن الإنسان قد يتمسك ولا يستمسك.

(٣) أراد ا ؤلف ر ه ا تعا الاستدلال بذا ا ديث على أن لكل شيء رأساً فرأس الأمر الذي جاء به مد صلى ا عليه وسلم الإسلام.

(٤) لأنه لا يقوم إلا با و ذا كان القول الراجح كفر تارك الصلاة وأنه ليس له الإسلام.

(٥) أي أعلاه وأكمله ا هاد سبيل ا ، وذلك لأن الإنسان إذا أصلح نفسه حاول إصلاح غ ه با هاد سبيل ا ليقوم الإسلام ولتكون كلمة ا هي العليا، فمن قاتل لتكون كلمة ا هي العليا فهو سبيل ا وصار ذروة السنام لأن به علو الإسلام على غ ه.

---

(١) رواه أحمد ٥/٢٣١، والترمذي ٥/١٣ برقم ٢٦١٦، وابن ماجه ٢/١٣٩٤ برقم ٣٩٧٣.

وا أعلم، وصلى ا على مد وآله وصحبه وسلم(١)

(١) ختم شيخ الإسلام مد بن عبد الوهاب ر ه ا تعا رسالته
هذه برد العلم إ ا عز وجل والصلاة والسلام على
نبيه مد صلى ا عليه وسلم وبذا انتهت
الأصول الثلاثة وما يتعلق با فنسأل ا
تعا أن يثيب مؤلفها أحسن ثواب،
وأن عل لنا نصيباً من أجرها
وثوابا، وأن معنا وإياه
دار كرامته، إنه جواد كر ،
وا مد رب العا ،
وصلى ا وسلم
على نبينا
مد
**
*

الفهـ - - - - - - - - - - - - - ـرس

ا وضـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـوع	الصفحة

الفهرس وا مد رب العا

*   *   *   *